افتراق أهل الكتاب كما تقرره سورة البينة
-دراسة نصية تحليلية-

د. عطا الله بخيت المعايطة*

تاريخ وصول البحث: ٢٠١٧/١١/٢٨م تاريخ قبول البحث: ٢٠١٨/١/٢١م

ملخص

جاءت هذه الدراسة تعالج مضامين عميقة احتوتها سورة البينة، حيث تحدثت بالإيجاز عن الأديان التي واجهها رسول الله ﷺ في بعثته الخاتمة، كما تحدثت عن المشركين وأهل الكتاب من اليهود والنصارى، وذلك بوصف حالهم قبل بعثته وترقبهم لها، ووصف حالهم عند بعثته وعدائهم لها، ثم افتراقهم عنه إلى فريقين: كافرين به متمسكين بأديانهم، ومؤمنين به مفترقين عن أديانهم، وقد عالجت هذه الدراسة فقط أهل الكتاب من اليهود والنصارى.

وأبرزت الدراسة في هذا البحث أنّ وجود فئة مؤمنة أو فرقة ناجية منهم التحقت بالدين الجديد، وذكرت من توافرت أخبارهم ممن لديه علمٌ بالنبي الخاتم ولم يؤمن به، وممن أكرمه الله بالإيمان والالتحاق بالنبي الخاتم ﷺ وبدينه الحق.

الكلمات الدالة: سورة، بينة، أهل الكتاب.

Abstract

This study deals with the deep themes included in *Surat al-Bayyinah*, which is a Surah that deals with religions existed at the beginning of Prophet Muhammad’s mission. The Surah talks about polytheists, and People of the Book the Jewish and Christians. The Surah talks about their waiting of the prophet before he was sent, their attitudes towards him after he was sent, and their division into believers and non-believers of the message of Muhammad.

The study shows that the believers and successful of them are those who followed Muhammad’s religion. This conclusion is supported by evidence from the Qur’an and the available news that tells us that those who had previous knowledge about Muhammad divided into two groups: those who followed him and believed and those who did not follow him.

المقدمة.

بعث رسول الله ﷺ برسالته الخاتمة، والبشرية تعج بالأديان والتصورات المختلفة، والتي كانت عاجزة عن إحداث أي سعادة أو حل لمشكلات اتباعها، فضلاً عن مشكلات البشرية في ذلك الزمان.

فقد واجه رسول الله ﷺ في مكة الشرك بكل جبروته وتعصبه، فمكث فيهم ما يقرب من ١٣عاما من بعثته إلى أن أذن الله تعالى بهجرته إلى المدينة النبوية، ثم واجه في المدينة اليهود وما عندهم من كتاب ملئ بالأخبار عن بعثته وأوصافه، ولكنهم جحدوها واختاروا طريق الكفر والمعاندة، وقد كتب وثيقة المدينة التي تنظم عيش الملل من اليهود والمشركين والمسلمين

* أستاذ مشارك، الجامعة الأردنية.

والمسلمين الجدد، ولكن سرعان ما أخرج اليهود مكنون حقدهم على النبي ﷺ ودينه، فناصبوه العداء وألبوا عليه القبائل والأحزاب، مما حدا به؛ لإخراجهم من المدينة، وهنا حصل افتراق لم يكن كافتراقهم في إطار ملتهم وقد أسلم عدد من العلماء والأحبار واستمر على كفره من أخرج من المدينة.

وهذا أيضاً ما حدث للنصارى وإن لم يكن الصراع مباشراً، ولكن الله تعالى امتدح بعض النصارى، فكان من أسلم منهم أكثر من اليهود، وقد جاءت هذه السورة؛ لتوضح حقيقة حالهم الذي صاروا إليه، وهذا ما ستتضح معالمه أكثر من خلال هذا البحث الموجز بإذن الله.

مشكلة الدراسة.

سوف تعالج هذه الدراسة الموجزة أربعة إشكالات نبه عليهما بعض علماء التفسير:

- الإشكال الأول: ما أبرز المعاني التي دلّ عليها قوله تعالى: ﴿**لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ**﴾[البيّنة: ١]؟
- والإشكال الثاني: هو بيان معنى الفرقة في قوله تعالى: ﴿**وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ**﴾ [البيّنة: ٤].
- الإشكال الثالث: وما موقف أهل الكتاب من بعثة النبي ﷺ؟
- الإشكال الرابع: ما ماهية الافتراق، أهو القديم الذي حدث لهم في دينهم وملتهم؟ أم هو افتراق أبدي عن الحق، الذي هو دين الله الخاتم فيمن تمسك بدينه منهم وبقي عليه؟ أم هو من افترق عنهم وترك دينهم وآمن بالدين الإسلامي ونبيه ﷺ؟

أسئلة الدراسة.

١- ما معنى الانفكاك؟ وهل انتهى كفرهم وشركهم بعد مجيء النبي الخاتم؟

٢- ما الافتراق الذي حدث، هل هو افتراق داخل مللهم؟ أم هو افتراق آخر بالخروج عن ملتهم والالتحاق بالنبي الخاتم ﷺ وبملة الإسلام؟

محددات البحث.

سوف تكون غاية هذا البحث هو بيان افتراق أهل الكتاب الذي حصل زمن بعثة النبي الخاتم -عليه الصلاة والسلام-، وليس من مضامين البحث الخوض في افتراقهم قبل البعثة أو بعدها، كما ليس من مضامين هذا البحث شرح جميع مسائل السورة، وليس من مضامين البحث الكلام على المشركين.

كما أن من محددات البحث عدم البحث في بشارات كتب أهل الكتاب بالنبي الخاتم، وإنما الاكتفاء بالدلالة النصية من الكتاب والسنة، وتطبيق ذلك على أشخاص من أهل الكتاب افترقوا عن ملتهم ودخلوا في الإسلام.

أهمية البحث.

تبدو أهمية هذه الدراسة من خلال بيان أهمية علم الأديان وحواراته قديما وحديثا، وأهمية الرسالة الخاتمة التي جاء بها

الرسول الكريم -عليه الصلاة والسلام-، وهيمنة الدين الخاتم على غيره من الأديان، كما تعبر عن حال البشرية في ترقبها وانتظارها للرسالة المنتظرة الخاتمة في شخص النبي الخاتم ﷺ ودينه الحق.

منهجية البحث.

اعتمد الباحث على المنهج الاستقرائي، من خلال استقراء دلالات ومقدمات سورة البينة وما يعززها في كتاب الله تعالى من آيات أخرى حول أهل الكتاب، وما لها من علاقة مباشرة في زمن البعثة النبوية، وما حصل في المدينة النبوية وأماكن أخرى من إنذار وبلاغ لأهل الكتاب، وردودهم عليه، وذلك من خلال ما روي من الأحاديث النبوية التي أوضحت لنا ذلك الحراك ومضامينه، ثم المنهج التحليلي الاستنباطي لهذه النصوص وبيان دلالتها ونتائجها.

الدراسات السابقة.

بعد البحث والتقصي لم أعثر على دراسة أفردت هذه السورة بمثل هذه الدراسة العقدية في مثل هذا الإطار المحدد، في البحث في طبيعة الافتراق الذي أحدثته بعثة النبي الخاتم -عليه الصلاة والسلام- في أهل الكتاب.

تمهيد.

أولاً: تعريف المصطلحات.

١- البينة: "الدلالة الواضحة عقلية كانت أو حسية"[١].

٢- أهل الكتاب: وهم اليهود والنصارى"[٢].

٣- المشرك: الذي يعدل بربه[٣]. الشرك: الشريك يجمع على شركاء وإشراك والشرك الكفر وقد كفر فلان بالله فهو مشرك[٤]، وقد قسّمه الكفوي إلى أقسام عديدة[٥].

ولا بد قبل البدء بالتفصيلات في هذه الدراسة، أن يتم ذكر توطئة مهمة لفهم ما يأتي عن الأديان واختصاص اليهود والنصارى عن غيرهم من أهل الأديان بالإفراد في الذكر في الآية الكريمة في سورة البيّنة، فجاء ذكر التوطئة اللاحقة في التعريف بسورة البيّنة والتوطئة حول الأديان؛ لبيان وجوب إيمان أهل الكتاب ببعث النبي ﷺ.

ثانياً: التعريف بسورة البيّنة.

من السور المختلف في مكيّتها ومدنيّتها والراجح أنها مدنية[٦]؛ بسبب انطباق خصائص السور المدنية عليها؛ لما فيها من توبيخ لأهل الكتاب ووصف أحوالهم.

أما ما ورد لهذه السورة من أسماء، فيقول ابن عاشور في تعدد أسماء هذه السورة: "وردت تسمية هذه السورة في كلام النبي ﷺ: "لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا" ... وسميت هذه السورة في معظم كتب التفسير وكتب السنة سورة "لَمْ يَكُنِ" بالاقتصار على أول كلمة منها ... وسميت في أكثر المصاحف "سورة القيمة" وكذلك في بعض التفاسير. وسميت في بعض المصاحف "سورة البينة". وذكر في "الإتقان" أنها سميت في مصحف أبي "سورة أهل الكتاب"، أي لقوله تعالى: ﴿**لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ**﴾[البينة: ١]، وسميت سورة "البرية" وسميت "سورة الانفكاك". فهذه ستة أسماء"[٧].

يقول البقاعي: "سورة الإعلام بأن هذا الكتاب القيم من علو مقداره وجليل آثاره أنه كما أنه لقوم نور وهدى فهو لآخرين وقر وعمى، فيقود إلى الجنة دار الأبرار، ويسوق إلى النار دار الأشقياء الفجار، وعلى ذلك دل كل من أسمائها "الذين كفروا"،

"والمنفكين" بتأمل الآية في انقسام الناس إلى أهل الشقاوة وأهل السعادة"(٨).

ومما يؤكد مدنية السورة، الحديث الذي روي بشأنها أن النبي ﷺ أمره الله تعالى أن يقرأها على الصحابي الأنصاري أبي بن كعب ﷺ(٩)، روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك ﷺ قال النبي ﷺ لأبي: "إن الله أمرني أن أقرأ عليك **﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾**[البينة: ١]، قال: وسماني؟ قال: نعم. فبكى"(١٠) قال ابن حجر: قوله وسماني: أي هل نص علي باسمي، أو قال: أقرأ على واحد من أصحابك فاخترتني أنت، فلما قال له: (نعم) بكى إما فرحاً وسروراً بذلك، وإما خشوعاً وخوفاً من التقصير في شكر تلك النعمة"(١١).

ثالثاً: توطئة حول أديان البشرية قبل البعثة النبوية.

انقسم الناس قبل بعثة النبي الخاتم –عليه الصلاة والسلام– إلى أقسام متعددة، فمنهم أهل الكتاب الذين تتصل أديانهم بالأنبياء والرسل، ومنهم الحنفاء، ومنهم المشركون عبدة الأوثان، ومنهم الصابئة ومنهم الهندوس والبوذيون في المشرق، والوثنية بشتى عبودياتها في إفريقيا وما تبقى من بقاع العالم.

وكانت اليهودية والنصرانية والشرك هي التي واجهها النبي ﷺ في بداية دعوته فبدأ دعوته لقومه المشركين؛ وذلك أنه دعاهم إلى الدين الحق فمنهم من آمن، وكان حال غالبهم في أول دعوته الإصرار على الكفر والشرك، ثم لما هاجر إلى المدينة النبوية غزوه وغزاهم حتى أظهره الله عليهم.

ووجد رسول الله ﷺ في المدينة اليهود الذين هم أهل كتاب وعلم، وكانت لديهم البشارات الثابتة في كتبهم عن بعثته ﷺ بأسمائه وأوصافه، قال تعالى: **﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾**[الأعراف: ١٥٧].

وروى البخاري عن عطاء بن يسار، "قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص –رضي الله عنهما–، قلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة؟ قال: "أجل، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: **﴿يأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾**[الأحزاب: ٤٥]، وحرزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح بها أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً"(١٢).

لقد كانت هذه المواجهة حاسمة وفاصلة لليهود خاصة ولأهل الكتاب وملل البشرية كلها عامة؛ فقد جاءهم النبي الخاتم والرسالة الخاتمة التي لا يسعهم مخالفتها أو الكفر بها، وقد جعله الله ابتلاء للأمم؛ لأنه لا نبي بعده ومن يكفر به فهو الخاسر البائس؛ لقوله تعالى في الحديث القدسي الذي رواه مسلم عن عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: "أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَالَ: **إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ،** وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ، تَقْرَؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشًا، فَقُلْتُ: رَبِّ إِذًا يَثْلَغُوا رَأْسِي فَيَدَعُوهُ خُبْزَةً، قَالَ: اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخْرَجُوكَ، وَاغْزُهُمْ نُغْزِكَ، وَأَنْفِقْ فَسَنُنْفِقَ عَلَيْكَ(١٣).

ولكن موقف اليهود كان هو العداء له ورفض دعوته التي كانوا هم أحوج الناس إليها؛ لما في دينهم من شرائع تقيدهم

وتفوق طاقتهم، كما بينت ذلك آية الأعراف قبل قليل من الإصر والأغلال التي كانت عليهم، وجاءت سورة البينة تبين حالهم وفرقتهم عند بعثة النبي الخاتم -عليه الصلاة والسلام-، وهذا ما سيوضحه هذا البحث إن شاء الله.

المبحث الأول:
دلالة السورة على افتراق أهل الكتاب.

سنعالج في هذا المبحث مطلبين مهمين حول واقع أهل الكتاب قبل البعثة وإجماعهم على انتظار النبي الخاتم ﷺ، من خلال تفسير قوله تعالى: **﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ﴾**، والمطلب الثاني: بيان حقيقة الافتراق الذي حدث لأهل الكتاب بعد البعثة والشواهد الدالة على ذلك، من خلال قوله تعالى: **﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾**.

المطلب الأول: تحليل معنى منفكين والأقوال فيها:

لقد توقف العلماء كثيراً عند قوله تعالى: **﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾** [البينة: ١] باعتبار مطابقتها على واقع أهل الكتاب والمشركين قبل البعثة وبعدها، حتى عدها الإمام الواحدي من أصعب آي القرآن نظماً وتفسيراً فقال: "... ومعنى الآية: إخبار الله تعالى عن الكفار، أنهم لم ينتهوا عن كفرهم وشركهم بالله حتى أتاهم محمد ﷺ بالقرآن، فبين لهم ضلالتهم وجهالتهم، ودعاهم إلى الإيمان، وهذا بيان عن النعمة، والإنقاذ به من الجهل والضلالة، والآية فيمن آمن من الفريقين، وهذه الآية من أصعب ما في القرآن نظما وتفسيرًا، وقد تخبط فيها الكبار من العلماء، وسلكوا في تفسيرها طرقًا لا تفضي بهم إلى الصواب، والوجه ما أخبرتك به، فاحمد الله إذ أتاك بيانها من غير لبس ولا إشكال، ويدل على أن المراد بالبينة محمد ﷺ، أنه فسرها، وأبدل منها، فقال: **﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا﴾**[البينة: ٢] يعني: ما تضمنته الصحف من المكتوب فيها، وهو القرآن؛ ويدل على ذلك أنه كان يتلو عن ظهر قلبه، لا عن كتاب، مطهرة من الباطل، والكذب، والزور"[١٤].

وقد عقب الفخر الرازي على قول الواحدي فقال: "ثم إنه -رحمه الله تعالى- لم يلخص كيفية الإشكال فيها، وأنا أقول: وجه الإشكال أن تقدير الآية: لم يكن الذين كفروا منفكين حتى تأتيهم البينة التي هي الرسول، ثم إنه تعالى لم يذكر أنهم منفكون عن ماذا لكنه معلوم؛ إذ المراد هو الكفر الذي كانوا عليه، فصار التقدير: لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة التي هي الرسول ..."[١٥].

وقد جاء في معنى الأصل (فك) في اللغة "يُقَال: لَقيته كفة كفة، وكفة لكفة، أَي: مُوَاجهَة. فك: قَالَ اللَّيْث: يُقَال: فَككت الشَّيْء فانفك بِمَنْزِلَة الْكتاب الْمَخْتُوم تفك خَاتمه، كَمَا تفك الحنكين تفصل بَينهمَا. والفكان: ملتقى الشدقين من الْجَانِبَيْنِ. وَقَالَ الْأَصْمَعِي: الفكك أَن يفك الخلخال والرقبة. وَفك يَده فكا: إِذا أَزَال الْمفصل ..."[١٦] وعقّب الأزهريّ على المعنى اللغوي بذكر الآية الكريمة ومعانيها، فقال: "وَقَوله تَعَالَى: **﴿منفكين حَتَّى تأتيهم الْبَيِّنَة﴾**، أَي: لم يَكُونُوا منفكين من كفرهم، أَي: منتهين عَن كفرهم. وَقَالَ الْأَخْفَش: زائلين عَن كفرهم. وَقَالَ مُجَاهِد: يَقُول: لم يَكُونُوا ليؤمنوا حَتَّى يتَبَيَّن لَهُم الْحق. وَقَالَ ابْن عَرَفَة الملقب بنفطويه: معنى قَوْله: {منفكين} مفارقين. يَقُول: لم يَكُونُوا مفارقين الدُّنْيَا حَتَّى أَتَتْهُم الْبَيِّنَة الَّتِي أَثْبَتَت لَهُم فِي التَّوْرَاة من صفة مُحَمَّد ونبوته: وتأتيهم لَفظه لفظ الْمُضَارع، وَمَعْنَاهُ الْمَاضِي، ثمَّ وكد ذَلِك فَقَالَ -جلّ وَعز-: **﴿وَمَا تفرق الَّذين أُوتُوا الْكتاب إِلَّا**

من بعد مَا جَاءَتْهُم الْبَيِّنَة﴾[الْبَيِّنَة: ٤]، وَمَعْنَاهُ: أَن فرق أهل الْكتاب من الْيَهُود وَالنَّصَارَى كَانُوا مقرين قبل مبعث النَّبِي ﷺ أَنه مَبْعُوث، وَكَانُوا مُجْتَمعين على ذَلِك فَلَمَّا بعث تفَرقُوا فرْقَتَيْن كل فرقة تنكره. وَقيل: معنى قَوْله تَعَالَى: **﴿وَمَا تفرق الَّذين أُوتُوا الْكتاب إِلَّا من بعد مَا جَاءَتْهُم الْبَيِّنَة﴾**: أَنه لم يكن بَينهم اخْتِلَاف فِي أمره، فَلَمَّا بعث آمن بِهِ بَعضهم وجحده الْبَاقُونَ وحرفوا وبدلوا مَا فِي كِتَابهمْ من صفته ونبوته. وَقَالَ الْفراء: قد يكون الانفكاك على جِهَة يزَال وَيكون على الانفكاك الَّذِي تعرفه، فَإِذا كَانَ على جِهَة يزَال. قلت: قد انفككت مِنْك، وانفك الشَّيْء من الشَّيْء، فَيكون بِلَا جحد وَلَا فعل"(١٧).

ولعل علاقة السورة في بيان وضع الملل الثلاث وحجم تلك الأحداث التي دارت في مكة والمدينة، هو الذي حدا بالمفسرين إلى البحث العميق في دلالات السورة وعمق مفاهيمها؛ لذا أردت تتبع أقوالهم بصورة أوسع لاستخراج هذه الدلائل وتطبيقها بالأخص على أهل الكتاب الذين كان لديهم العلم اليقيني بصاحب البعثة الخاتمة ﷺ والذين كانوا هم أولى الناس بالإيمان به وأتباعه.

الأقوال في معنى منفكّين:

أولاً: منتهين عن كفرهم أو زائلين عنه: وهو قول الفراء، والزمخشري(١٨)، والسمعاني(١٩)، والسمرقندي(٢٠)، وغيرهم.

يقول الفراء: "لم يكونوا منفكين منتهين حتى تأتيهم البينة يعنى: بعثه محمد ﷺ والقرآن"(٢١)، كما جاء في تفسير ابن أبي حاتم حيث قال: "مَنْتَهِينَ عَمَّا هُمْ فِيهِ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ أَيْ هَذَا القرآن رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يتلوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً"(٢٢)... ويضيف الخازن على هذا القول أن الآية فيمن آمن من الفريقين(٢٣).

وجاء في تفسير العز بن عبد السلام (مُنفكِّينَ) منتهين عن الكفر حتى يتبين لهم الحق، أو لم يزالوا على الشك حتى يأتيهم الرسل –صلوات الله تعالى وسلامه عليهم–"(٢٤).

أما ابن كثير فهو يرى أنّ الانتهاء هنا عن الكفر والضلال حتى يأتي الحق، فيقول: "وَقَالَ مُجَاهِدٌ: لَمْ يَكُونُوا {مُنْفَكِّينَ} يَعْنِي: مُنْتَهِينَ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ. وَكَذَا قَالَ قَتَادَةُ"(٢٥). وهو ما أخذ به ابن عاشور"(٢٦). وبمثل هذا قال الشوكاني(٢٧).

قال ابن الجوزي: "مُنْفَكِّينَ أي: منفصلين وزائلين –يقال: فككت الشيء، فانفك، أي: انفصل– والمعنى: لم يكونوا زائلين عن كفرهم وشركهم (حَتَّى تَأْتِيَهُمُ) أي: أتتهم، فلفظه لفظ المستقبل، ومعناه الماضي. والْبَيِّنَةُ الرّسول، وهو محمّد ﷺ؛ وذلك أنه بَيَّنَ لهم ضلالهم وجهلهم وهذا بيان عن نعمة الله على من آمن من الفريقين إذ أنقذهم"(٢٨)، وذكر ابن قتيبة في هذا المعنى: "زائلين. يقال: ما أَنْفَكُّ في كذا؛ أي لا أزالُ"(٢٩).

ثانياً: منتهين بمعنى عن الدنيا حتى يبعث لهم رسول، والانتهاء هنا بمعنى نهاية الحياة:

وهذا ما أخذ به ابن جزيئ، حيث قال: "وهو الأظهر عندي أن المعنى لم يكونوا لينفصلوا من الدنيا حتى بعث الله لهم سيدنا محمدا ﷺ فقامت عليهم الحجة؛ لأنهم لو انفصلت الدنيا دون بعثه: **﴿لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾**[طه: ١٣٤] فلما بعثه الله لم يبق لهم عذر ولا حجة، فمنفكين على هذا كقولك: لا تبرح أو لا تزول حتى يكون كذا وكذا رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يعني سيدنا محمدا ﷺ، وإعرابه بدل من البينة أو خبر ابتداء مضمر يَتْلُوا صُحُفاً مُطَهَّرَةً يعني القرآن في صحفه"(٣٠).

ثالثاً: متفرقين أو مفارقين: والافتراق إما في أمر محمد كما قال الطبري: "وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال: معنى ذلك: لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين مفترقين في أمر محمد، حتى تأتيهم البيِّنة، وهي إرسال الله إياه رسولا إلى خلقــه، رسول من الله. وقوله. (مُنْفَكِّينَ) في هذا الموضع عندي من انفكاك الشيئين أحدهما من الآخر؛ ولذلك صَلُح بغير

خبر "[٣١].

– أو فارقوا ما عندهم من صفة النبيّ ﷺ كما قال النحّاس: لم يكن الكفار متفرّقين إلا من بعد أن جاءهم الرسول؛ لأنهم فارقوا ما عندهم من صفة النبي ﷺ فكفروا بعد البيان، وهذا القول في العربية أولى؛ لأن منفكّين لو كان بمعنى زائلين لاحتاج إلى خبر ولكن يكون من انفكّ الشيء من الشيء أي: فارقه ..."[٣٢].

– أو أنهم فارقوا أمر الله تعالى وقدرته، فيقول في ذلك ابن عطية: وقوله تعالى: مُنْفَكِّينَ معناه منفصلين متفرقين، تقول انفك الشيء عن الشيء إذا انفصل عنه، وما انفك التي هي من أخوات كان لا مدخل بها في هذه الآية، ونفى في هذه الآية أن تكون هذه الصنيعة منفكة، ... ويتجه في معنى الآية قول ثالث بارع المعنى، وذلك أن يكون المراد لم يكن هؤلاء القوم مُنْفَكِّينَ من أمر الله تعالى وقدرته ونظره لهم حتى يبعث إليهم رسولا منذرا تقوم عليهم به الحجة، وتتم على من آمن النعمة، فكأنه قال: ما كانوا ليتركوا سدى وبهذا المعنى نظائر في كتاب الله تعالى"[٣٣].

ويبيّن الخطيب معني الانفكاك المؤدي إلى التفرق في هذه الآية الكريمة من حلّ الرابطة الوثيقة، فيقول: "الانفكاك فى قوله تعالى: «منفكّين» هو حلّ تلك الرابطة الوثيقة التي جمعت بينهم جميعا على الكفر والضلال ... ومجمل معنى الآية الكريمة: أن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين لن تتحلّ منهم هذه الرابطة الوثيقة التي جمعت بينهم على الكفر والضلال، حتى تأتيهم البينة.. فإذا أتتهم البينة تقطع ما بينهم، وانحلت وحدتهم، وأخذ كلّ الطريق الذي يختاره ..."[٣٤].

أما القول بمفارقين الوعد والميثاق باتباع الرسول الموعود، فهو قول أبي السعود والآلوسي حيث قال أبو السعود: "وانفكاكُ الشيءِ عن الشيء أنْ يزايَلَهُ بعدَ التحامِه، كالعظمِ إذا انفكَّ من مفصلِه، وفيهِ إشارةٌ إلى كمالِ وكادةِ وعدِهم أيْ لم يكُونوا مفارقينَ للوعدِ المذكورِ بلْ كانُوا مجمعينَ عليهِ عازمينَ على إنجازِهِ "حتى تَأْتِيَهُمُ البينة" التي كانُوا قد جعلوا إتيانها ميقاتاً لاجتماعِ الكلمةِ والاتفاقِ عَلى الحقِّ فجعلوه ميقاتاً للانفكاكِ والافتراقِ وإخلافِ الوعدِ. والتعبيرُ عن إتيانِها بصيغةِ المضارعِ باعتبارِ حالِ المحكيِّ لا باعتبارِ حالِ الحكايةِ"[٣٥].

ويقول الآلوسي: "والذي أميل إليه مما تقدم كون الانفكاك عن الوعد باتباع الحق، ولعل القرينة على اعتباره حالية ويحتمل نحوا آخر من التوجيه، وذلك بأن يجعل الكلام من باب الأعمال، فيقال: إن (مُنْفَكِّينَ) يقتضي متعلقاً هو المنفك عنه و(تَأْتِيَهُمُ) يقتضي فاعلا وليس في الكلام سوى البينة فكل منهما يقتضيه فأعمل فيه تَأْتِيَهُمُ وحذف معمول مُنْفَكِّينَ؛ لدلالته عليه، فكأنه قيل: لم يكن الذين كفروا من الفريقين منفكين عن البينة حتى تأتيهم البينة، وحيث كان المراد بالبينة الرسول كان الكلام في قوة لم يكونوا منفكين عن الرسول حتى يأتيهم. ويراد بعدم الانفكاك عن الرسول؛ حيث لم يكن موجودا إذ ذاك عدم الانفكاك عن ذكره والوعد باتباعه، ويكون باقي الكلام في الآية على نحو ما سبق على تقدير إرادة مُنْفَكِّينَ عما كانوا عليه من الوعد باتباع الحق ..."[٣٦].

رابعاً: هالكين: نسبه البغوي لبعض أئمة اللغة في تفسيره ورجّح غيره، فقال: "وَقَالَ بَعْضُ أَئِمَّةِ اللغة: معنى قوله: (مُنْفَكِّينَ) أي: هالكين، من قولهم: انفك صلاء[٣٧] الْمَرْأَةِ عِنْدَ الْوِلَادة، وَهُوَ أَنْ يَنْفَصِلَ فَلا يَلْتَئِمُ فَتَهْلِكُ. وَمَعْنَى الآية: لَمْ يَكُونُوا هَالِكِينَ مُعَذَّبِينَ إلا مِنْ بَعْدِ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ بِإِرْسَالِ الرَّسُولِ وَإِنْزَالِ الْكِتَابِ"[٣٨].

خامساً: متروكين: وهو ما ذهب إليه ابن تيمية في مجموع الفتاوى، حيث قال: "أَيْ لَمْ يَكُونُوا مَتْرُوكِينَ بِاخْتِيَارِ أَنْفُسِهِمْ يَفْعَلُونَ مَا يَهْوَوْنَهُ لا حَجْرَ عَلَيْهِمْ كَمَا أَنَّ الْمُنْفَكَّ لَا حَجْرَ عَلَيْهِ. وَهُوَ لَمْ يَقُلْ "مَفْكُوكِينَ" بَلْ قَالَ {مُنْفَكِّينَ}. وَهَذَا أَحْسَنُ فَإِنَّهُ نَفْيٌ لِفِعْلِهِمْ. وَلَوْ قَالَ "مَفْكُوكِينَ" كَانَ التَّقْدِيرُ: لَمْ يَكُونُوا مُسَيَّبِينَ مُخَلَّيْنَ فَهُوَ نَفْيٌ لِفِعْلِ غَيْرِهِمْ. وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مَتْرُوكِينَ لا

يُؤْمَرُونَ وَلا يُنْهَوْنَ وَلَا تُرْسَلُ إِلَيْهِمْ رُسُلٌ بَلْ يَفْعَلُونَ مَا شَاءُوا مِمَّا تَهْوَاهُ الأَنْفُسُ. وَالْمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ مَا يُخَلِّيهِمْ وَلَا يَتْرُكُهُمْ. فَهُوَ لَا يَفُكُّهُمْ حَتَّى يَبْعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا. وَهَذَا كَقَوْلِهِ "أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى" لا يُؤْمَرُ وَلا يُنْهَى. أَيْ أَيَظُنُّ أَنَّ هَذَا يَكُونُ؟ هَذَا مَا لا يَكُونُ أَلْبَتَّةَ؛ بَلْ لا بُدَّ أَنْ يُؤْمَرَ وَيُنْهَى. وَقَرِيبٌ مِنْ ذَلِكَ قَوْله تَعَالَى: **﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾** "وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ" "أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ". وَهَذَا اسْتِفْهَامُ إِنْكَارٍ، أَيْ: لأَجْلِ إِسْرَافِكُمْ نَتْرُكُ إِنْزَالَ الذِّكْرِ وَنُعْرِضُ عَنْ إِرْسَالِ الرُّسُلِ. وَمَنْ كَرِهَ إِرْسَالَهُمْ؟"(٣٩).

وهناك وجهان بلاغيان لا بد من الإشارة إليهما:

الأول: في الإتيان بـ (حتى) في السياق الذي يفيد أن الانفكاك حاصل عند إتيان الرسول على ما بيّنه الرازي، فيقول: "ثم إن كلمة حتى لانتهاء الغاية فهذه الآية تقتضي أنهم صاروا منفكين عن كفرهم عند إتيان الرسول"(٤٠). يقول دروزة مقرراً معنى التفرّق الحاصل بينهم: "تضمّنت الآيات ... نعياً عليهم؛ لأنهم إنما تفرقوا وشذّوا بعد أن جاءتهم البينة التي هي رسول الله ﷺ والقرآن الذي أنزله الله عليه في حين أن ما جاءهم لم يكن ليتحمل خلافا ولا شذوذا؛ لأنه إنما أمرهم بعبادة الله وحده مخلصين وبإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة. وهذا هو الدين المستقيم والطريق القويم"(٤١).

الثاني: ما أورده الآلوسي في معنى (من) ودورها في بيان معنى (أهل الكتاب والمشركين) ودورها في تعدد المعاني بين العام والخاص فيقول: "(ومن) للتبعيض كما قال علم الهدى الشيخ أبو منصور الماتريدي في التأويلات، لا للتبيين؛ لأن منهم من لم يكفر بعد نبيه، وكان على الاعتقاد الحق حتى توفاه الله تعالى، وعد من ذلك الملكانية من النصارى فقيل: إنهم كانوا على الحق قبل بعثة رسول الله ﷺ والتبيين يقتضي كفر جميعهم قبل البعث والظاهر خلافه، وأيد إرادة التبعيض بما روي عن ابن عباس –رضي الله تعالى عنهما– من أن المراد بأهل الكتاب اليهود الذين كانوا بأطراف المدينة من بني قريظة والنضير وبني قينقاع، وقال بعض: لا نسلم أن التبيين يقتضي كفر جميعهم قبل البعث لجواز أن يكون التعبير عنهم بالذين كفروا باعتبار حالهم بعد البعثة كأنه قيل لم يكن هؤلاء الكفرة وبينوا بأهل الكتاب وَالْمُشْرِكِينَ وهم من اعتقدوا لله –سبحانه– شريكا صنما أو غيره، وخصهم بعض بعبدة الأصنام؛ لأن مشركي العرب الذين بمكة والمدينة وما حولهما كانوا كذلك وهم المقصودون هنا، وأيّا ما كان فالعطف على أهل الكتاب لا يلزم على التبعيض أن لا يكون بعضهم كافرين ليجب العدول عنه للتبيين؛ لأنهم بعض من المجموع كما أفاده بعض الأجلّة(٤٢).

وقد رجحه الإمام الطبري رأياً حيث قال: وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال: معنى ذلك: لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين مفترقين في أمر محمد، حتى تأتيهم البيِّنة، وهي إرسال الله إياه رسولا إلى خلقه، رسول من الله. وقوله. (مُنْفَكِّينَ) في هذا الموضع عندي من انفكاك الشيئين أحدهما من الآخر؛ ولذلك صَلُح بغير خبر، ولو كان بمعنى ما زال، احتاج إلى خبر يكون تماما له، واستؤنف قوله (رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ) هي نكرة على البيِّنة، وهي معرفة، كما قيل: (ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ فَعَّالٌ) فقال: حتى يأتيهم بيان أمر محمد أنه رسول الله، ببعثة الله إياه إليهم، ثم ترجم عن البيِّنة، فقال: تلك البينة (رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً) يقول: يقرأ صحفا مطهرة من الباطل"(٤٣).

وأرى أن مجمل الأقوال محتملة في دلالة الآية حيث تعبر عن حالة أهل الكتاب في ذلك العصر وإلى وقتنا الحاضر، ويترجح أيضا حصول الافتراق الذي سنبينه من بقاء من بقي على يهوديته ونصرانيته ومن افتراق من آمن منهم ودخل في الإسلام وآمن بنبوة النبي الخاتم ﷺ، فهو افتراق عظيم ليس داخل مللهم بل افتراق عن أديانهم إلى الدين الحق الجديد الذي هو الرسالة الخاتمة من الله للبشر.

المطلب الثاني تحليل معنى ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ والأقوال فيها.

وهذه الآية كما سنرى هي الحاسمة في بيان نتيجة الانفكاك الذي حصل لأهل الكتاب وهذا ما تبينه الأقوال الآتية لأهل العلم فهم: إما أنهم تفرقوا إلى فريقين: فمنهم من آمن بالنبي محمد –عليه الصلاة والسلام–، ومنهم من كفر به، وهو قول الطبري: "وَمَا تَفَرَّقَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى فِي أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَكَذَّبُوا بِهِ، إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ، ... فَلَمَّا بَعَثَهُ اللَّهُ تَفَرَّقُوا فِيهِ، **فَكَذَّبَ بِهِ بَعْضُهُمْ، وَآمَنَ بَعْضُهُمْ، وَقَدْ كَانُوا قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ غَيْرَ مُفْتَرِقِينَ فِيهِ أَنَّهُ نَبِيٌّ**"(٤٤)، أو أن هذه الآية فيمن كفر بالنبيّ –عليه الصلاة والسلام– خاصة دون المؤمنين، وقد اختلف المفسرون عن ماذا تفرقوا على أقسام عدّة:

أما الأول: فهم تفرقوا عن الحق بعدما عرفوه: وهو قول الزمخشري: "والمراد بتفرقهم: تفرقهم عن الحق وانقشاعهم عنه. أو تفرقهم فرقاً، فمنهم من آمن، ومنهم من أنكر وقال: ليس به، ومنهم من عرف وعاند، فإن قلت: لم جمع بين أهل الكتاب والمشركين أوّلا ثم أفرد أهل الكتاب في قوله: "وَما تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ"؟ قلت: لأنهم كانوا على علم به لوجوده في كتبهم، فإذا وصفوا بالتفرق عنه كان من لا كتاب له أدخل في هذا الوصف"(٤٥) وهو قول أبي حيان أيضاً(٤٦).

وجاءت آيات كثيرة تبين أحوال أهل الكتاب وتحريفهم صفات النبي الخاتم، يقول الزحيلي في تفسير قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ** ...﴾[البقرة: ١٧٤]: "فعمدوا إلى صفة محمد ﷺ فغيروها، ثم أخرجوها إليهم، وقالوا: هذا نعت النبي الذي يخرج في آخر الزمان، لا يشبه نعت هذا النبي، فأنزل اللّه: إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتابِ الآية... وهنا يبين أنهم كتموا ما أنزل اللّه في كتبهم من صفات النّبي ﷺ فحرفوه وبدلوه، وأخفوا الصحيح وأظهروا الكاذب، وتاجروا بالدين، واتخذوه وسيلة ارتزاق واحتراف معيشة"(٤٧).

والثاني: تفرقوا فرقاً ومِلَلاً: يقول ابن كثير في هذا: "يعني بذلك: أهل الكتب المنزلة على الأمم قبلنا، بعد ما أقام الله عليهم الحجج والبينات تفرقوا واختلفوا في الذي أراده الله من كتبهم، واختلفوا اختلافًا كثيرًا، كما جاء في الحديث المروي من طرق: "إن اليهود اختلفوا على إحدى وسبعين فرقة، وإن النصارى اختلفوا على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة". قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: "ما أنا عليه وأصحابي"(٤٨).

ويقول الشهرستاني في ذكر الخلاف بين اليهود والنصارى وانفكاكهم إلى ملّتين مؤيّداً ذلك بالشواهد القرآنية: "وإنما الخلاف بين اليهود والنصارى ما كان يرتفع إلا بحكمه؛ إذ كانت اليهود تقول: "لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ" وكانت النصارى تقول: "لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ"، وكان النبي ﷺ يقول لهم: "لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ والإنجيل"، وما كان يمكنهم إقامتها إلا بإقامة القرآن الحكيم، وبحكم نبي الرحمة رسول آخر الزمان، فلما أبوا ذلك، وكفروا بآيات الله ﴿**ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ**﴾[البقرة: ٦١]"(٤٩).

وفي قوله تَعَالَى: ﴿**وَما تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ**﴾ قال القرطبي: أَيْ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى. خَصَّ أَهْلَ الْكِتَابِ بِالتَّفْرِيقِ دُونَ غَيْرِهِمْ وَإِنْ كَانُوا مَجْمُوعِينَ مَعَ الْكَافِرِينَ؛ لأنهم مَظْنُونٌ بِهِمْ عِلْمٌ فَإِذَا تَفَرَّقُوا كَانَ غَيْرُهُمْ مِمَّنْ لَا كِتَابَ لَهُ أَدْخَلُ فِي هَذَا الْوَصْفِ. "إلا مِنْ بَعْدِ مَا جاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ" أَيْ: أَتَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ الْوَاضِحَةُ، وَالْمَعْنِيُّ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ، أَيْ: القرآن مُوَافِقًا لِمَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ الْكِتَابِ بِنَعْتِهِ وَصِفَتِهِ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا مُجْتَمِعِينَ عَلَى نُبُوَّتِهِ، فَلَمَّا بُعِثَ جَحَدُوا نُبُوَّتَهُ وَتَفَرَّقُوا، فَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ: بَغْيًا وَحَسَدًا، وَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَما تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ**﴾[الشورى: ١٤]. وَقِيلَ: الْبَيِّنَةُ: الْبَيَانُ الَّذِي فِي كُتُبِهِمْ أَنَّهُ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، قَالَ الْعُلَمَاءُ: مِنْ أَوَّلِ السُّورَةِ إلى قوله قَيِّمَةٌ حُكْمُهَا فِيمَنْ آمَنَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ. وَقَوْلُهُ: وَما تَفَرَّقَ: حُكْمُهُ فِيمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ من أهل الكتاب بعد قيام الحجج(٥٠).

وقال نعمة الله علوان: "ما تَفَرَّقَ واختلف في الإنكار والاعتقاد والإيمان والكفر الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ إِلا مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ، يعني: ما تفرق تلك الأمم عماهم عليه من تصديق النبي الموعود إلا من بعد ما ظهر الرسول الموعود ولاحت البينة الواضحة الدالة على صدقه في نبوته ودعوته ألا وهو القرآن المعجز المبين لشعائر الإسلام، وبالجملة قد اختلفوا في شأنه ﷺ بعد بعثته فمنهم من آمن به على مقتضى ما وجده في كتابه ومنهم من كفر وأنكر عليه عنادا ومكابرة ولهذا قد حرفوا أوصافه المذكورة في الكتب السالفة مع أنهم لم يجدوا في دينه وكتابه ما يخالف أحكام كتبهم وأديانهم وَالحال انهم ما أُمِرُوا في كتبهم إلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ الواحد الأحد الصمد"(٥١).

وقال أبو السعود: "كلامٌ مسوقٌ لغايةِ تشنيعِ أهلِ الكتابِ خاصَّةً وتغليظِ جناياتِهم؛ ببيانِ أنَّ ما نسبَ إليهمْ من الانفكاكِ لم يكُنْ لاشتباهٍ مَا في الأمرِ، بلْ كانَ بعدَ وضوحِ الحقِّ وتبينِ الحالِ وانقطاعِ الأعذارِ بالكليةِ، وهُوَ السرُّ في وصفِهم بإيتاءِ الكتابِ المنبئِ عن كمالِ تمكنِهم منْ مطالعتِه، والإحاطةِ بَما فِي تضاعيفِه من الأحكامِ والأخبارِ التي مِنْ جُملتِها نعوتُ النبيِّ ﷺ، بعدَ ذكْرِهم فيما سبقَ بما هُوَ جارٍ مَجْرَى اسمِ الجنسِ للطائفتينِ، ولَمَّا كانَ هؤلاءِ وَالمشركونَ باعتبارِ اتفاقِهم عَلَى الرأيِ المذكورِ في حكمِ فريقٍ واحدٍ عبرَ عَمَّا صدرَ عنهمْ عقيبَ الاتفاقِ عندِ الإخبارِ بوقوعِه بالانفكاكِ، وعندَ بيانِ كيفية وقوعه بالتفرق؛ اعتبارا لاستقلال كل من فريقي أهل الكتاب؛ وإيذاناً بأن انفكاكهم عن الرأي المذكور ليس بطريق الاتفاق على رأيٍ أخر، بل بطريق الاختلاف القديم وقولُه تعالى: **﴿إلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ البينة﴾** استثناءٌ مفرغٌ منْ أعمِّ الأوقاتِ أيْ وما تفرقُوا في وقتٍ منَ الأوقاتِ إلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الحجةُ الواضحةُ الدالَّةُ على أنَّ رسولَ الله ﷺ هو الموعودُ في كتابِهم دلالةً جليةً لا ريبَ فيَها، كقولِه تعالى: **﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾**[آل عمران: ١٩](٥٢).

المبحث الثاني:
افتراق أهل الكتاب في زمن البعثة بالشواهد والحقائق المسندة.

من خلال ما سبق، عرضه من تفسير آيتي الانفكاك والافتراق في المبحث السابق، يبدو لنا أن الافتراق الذي حدث لأهل الكتاب لم يكن كافتراقهم السابق في إطار ملتهم، وخلافاتهم الداخلية بل افتراق جديد وقطعي من خلال البقاء على الديانة التي كانوا عليها لغالبيتهم، وخروج آخرين منهم آمنوا بالدين الجديد والافتراق عن ملتهم السابقة، وسوف أقتصر في بيان من افترق عن ملتهم ودخل في الإسلام بعد البعثة.

المطلب الأول: قاعدة افتراق أتباع الأديان (اليهودية والنصرانية).

ليس بإمكان هذا البحث الصغير الخوض في افتراق اليهود والنصارى قبل بعثة النبي ﷺ وما حل بهم من الانحراف عما جاء به الرسل الكرام من بني إسرائيل، ولكن من الممكن الإشارة إلى هذا الافتراق من خلال القاعدة القرآنية في اختلاف أتباع الرسل بعد مجيء الحق والعلم، كما قال تعالى: **﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾**[البقرة: ٢١٣]، وقال تعالى: **﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإسلام وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ**

بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[آل عمران: ١٩]، وقال تعالى: **﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾**[آل عمران: ١٠٥].

ومن خلال القاعدة النبوية كما في الحديث الذي رواه علماء الحديث عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قَالَ: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً»[٥٣].

والحديث له روايات عديدة كلها أفادت وقوع الافتراق فيمن سبقنا من اليهود والنصارى، وهو مطابق للواقع كما هو مشاهد، وإن كان الحديث تعرض لبعض الاعتراضات من جملة من العلماء، إلا أنها كلها انصبت حول خاتمة إحدى الروايات وهي رواية ابن ماجة التي كانت "كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة"[٥٤].

وقد اعترض على هذه الزيادة ابن الوزير اليماني[٥٥] وكذلك الإمام الشوكاني قال: إياك والاغترار، في (كلها هالكة إلا واحدة) فإنها زيادة فاسدة غير صحيحة، ولا يؤمن أن تكون من دسيس الملاحدة[٥٦]، وقد رد علماء آخرون على هذه الاعتراضات ومنهم: الشيخ المقبلي[٥٧]، وكذلك رد عليهم الشيخ الألباني[٥٨]؛ وذلك أن هذا الحديث لا يعني التكفير كما فهم بعضهم قال الإمام الخطابي: "سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاث وَسَبْعِينَ فِرْقَةً" فِيهِ دلالة عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْفِرَقَ كُلَّهَا غَيْرُ خَارِجِينَ مِنَ الدِّينِ؛ إِذِ النَّبِيُّ ﷺ جَعَلَهُمْ كُلَّهُمْ مِنْ أُمَّتِهِ، وَفِيهِ أَنَّ الْمُتَأَوِّلَ لا يَخْرُجُ مِنَ الْمِلَّةِ وَإِنْ أَخْطَأَ فِي تَأْوِيلِهِ قَالَ الشَّيْخُ –رَحِمَهُ اللهُ–: وَمَنْ كَفَّرَ مُسْلِمًا عَلَى الْإِطْلَاقِ بِتَأْوِيلٍ لَمْ يَخْرُجْ بِتَكْفِيرِهِ إِيَّاهُ بِالتَّأْوِيلِ عَنِ الْمِلَّةِ، فَقَدْ مَضَى فِي كِتَابِ الصَّلَاةِ فِي حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ فِي قِصَّةِ الرَّجُلِ الَّذِي خَرَجَ مِنْ صَلَاةِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاذًا فَقَالَ: "مُنَافِقٌ"، ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ ذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَالنَّبِيُّ ﷺ لَمْ يَزِدْ مُعَاذًا عَلَى: أَنْ أَمَرَهُ بِتَخْفِيفِ الصَّلَاةِ وَقَالَ: " أَفَتَّانٌ أَنْتَ"؟ لِتَطْوِيلِهِ الصَّلَاةَ" وَرُوِّينَا فِي قِصَّةِ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ حَيْثُ كَتَبَ إِلَى قُرَيْشٍ بِمَسِيرِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَيْهِمْ عَامَ الْفَتْحِ أَنَّ عُمَرَ ﷺ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا" وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَى عُمَرَ ﷺ تَسْمِيَتَهُ بِذَلِكَ؛ إِذْ كَانَ مَا فَعَلَ عَلَامَةً ظَاهِرَةً عَلَى النِّفَاقِ، وَإِنَّمَا يَكْفُرُ مَنْ كَفَّرَ مُسْلِمًا بِغَيْرِ تَأْوِيلٍ"[٥٩].

والحق أن هذا الحديث هو من الأحاديث التي روتها السنن، وقد صدق الواقع التاريخي حدوث هذه الفرقة العقدية وما نتج عنها من تفكك الأمة الإسلامية وتناحرها، وما هذه الدماء التي تراق الآن إلا صورة واضحة لا تحتاج إلى شرح أو توضيح بأن هذا الخبر جاء وصفا صادقا مطابقا لحالنا الذي أنبأ عنه رسول الله ﷺ، كما هو حال مطابق لاستمرار افتراق اليهود والنصارى إلى فرق جديدة لم تكن من قبل.

والقاعدة التي أشار لها الحديث كما يرى الإمام الشاطبي تنطبق على اليهود والنصارى وهو أصل الافتراق في أتباع الرسل، حيث قارن بيننا وبينهم في طبيعة الافتراق أنه حصل فيهم مع كونهم يهودا ونصارى، ونص على أن فيهم فرقة ناجية أيضا ولعلها الفرقة التي آمنت بالإسلام في مراحل افتراقهم الأخيرة، قال الشاطبي: "أَنَّا إِذَا قُلْنَا بِأَنَّ هَذِهِ الْفِرَقَ كُفَّارٌ عَلَى قَوْلِ مَنْ قَالَ بِهِ أَوْ يَنْقَسِمُونَ إِلَى كَافِرٍ وَغَيْرِهِ فَكَيْفَ يُعَدُّونَ مِنَ الْأُمَّةِ؟ وَظَاهِرُ الْحَدِيثِ يَقْتَضِي أَنَّ ذَلِكَ الِافْتِرَاقَ إِنَّمَا هُوَ مَعَ كَوْنِهِمْ مِنَ الْأُمَّةِ، وَإِلَّا فَلَوْ خَرَجُوا مِن الْأُمَّةِ إِلَى الْكُفْرِ لَمْ يُعَدُّوا مِنْهَا أَلْبَتَّةَ كَمَا تَبَيَّنَ، وَكَذَلِكَ الظَّاهِرُ فِي فِرَقِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، أَنَّ التَّفَرُّقَ فِيهِمْ حَاصِلٌ مَعَ كَوْنِهِمْ هُودًا وَنَصَارَى؟ فَيُقَالُ فِي الْجَوَابِ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ: إِنَّهُ يَحْتَمِلُ أَمْرَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّا نَأْخُذُ الْحَدِيثَ عَلَى ظَاهِرِهِ فِيكَوْنِ هَذِهِ الْفِرَقِ مِنَ الْأُمَّةِ، وَمِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، وَمَنْ قِيلَ بِكُفْرِهِ مِنْهُمْ فَإِمَّا أَنْ يَسْلَمَ فِي هِمْ هَذَا الْقَوْلُ فَلَا يَجْعَلُهُمْ مِنَ الْأُمَّةِ أَصْلًا وَلَا هَذِهِ الْأُمَّةُ ظَهَرَ أَنَّ فِيهَا فِرْقَةً زَائِدَةً عَلَى الْفِرَقِ الأخرى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى،

فَالثِّنْتَانِ وَالسَّبْعُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ الْمُتَوَعَّدِينَ بِالنَّارِ، وَالْوَاحِدَةُ فِي الْجَنَّةِ. فَإِذَا انْقَسَمَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ بِحَسَبِ هَذَا الِافْتِرَاقِ قِسْمَيْنِ: قِسْمٌ فِي النَّارِ، وَقِسْمٌ فِي الْجَنَّةِ، وَلَمْ يُبَيَّنْ ذَلِكَ فِي فِرَقِ الْيَهُودِ وَلَا فِي فِرَقِ النَّصَارَى؛ إِذْ لَمْ يُبَيِّنِ الْحَدِيثُ أَنْ لا تَقْسِيمَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ، فَيَبْقَى النَّظَرُ: هَلْ فِي الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فِرْقَةٌ نَاجِيَةٌ أَمْ لَا؟ وَيَنْبَنِي عَلَى ذَلِكَ نَظَرَانِ: هَلْ زَادَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ فِرْقَةً هَالِكَةً: أَمْ لا؟ وَهَذَا النَّظَرُ وَإِنْ كَانَ لَا يَنْبَنِي عَلَيْهِ... وَلَكِنَّهُ مِنْ تَمَامِ الْكَلَامِ فِي الْحَدِيثِ، فَظَاهِرُ النَّقْلِ فِي مَوَاضِعَ مِنَ الشَّرِيعَةِ أَنَّ كُلَّ طَائِفَةٍ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى لَابُدَّ أَنْ يُوجَدَ فِيهَا مَنْ آمَنَ بِكِتَابِهِ وَعَمِلَ بِسُنَّتِهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾**[الحديد: ١٦] فَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَفْسُقْ، وَقَالَ تَعَالَى: **﴿فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾**[الحديد: ٢٧]، وَقَالَ تَعَالَى: **﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾**[الأعراف: ١٥٩]، وَقَالَ تَعَالَى: **﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ﴾**[المائدة: ٦٦] وَهَذَا كَالنَّصِّ"(٦٠).

ولكن هذا الافتراق الذي نحن بصدده ليس هو ذاك الافتراق في إطار ملتي اليهود والنصارى، ولكنه افتراق جديد من خلال الخروج من ملتيهم والدخول في ملة جديدة هي ملة الإسلام، التي طالما ترقبها اليهود والنصارى، بسبب البشارات التي امتلأت بها كتبهم، ثم العجز الكامل عن القدرة على وجود تشريع بين أيديهم سالماً من التحريف قادراً على رفع الإصر والأغلال التي راكمها ذلك التحريف، وزاد عليها أحبارهم ورهبانهم كما هو مشهور ومعروف.

المطلب الثاني: قابلية اليهود المبكرة للافتراق عن الدين الحق.

مرت اليهودية في مختلف أطوار تاريخها بانحرافات شتى بدأت مع أعظم نبي لهم وهو موسى ﷺ، وهذه الانحرافات لم تكن في مسائل الفروع، بل هي انحرافات كبرى في أصل الاعتقاد ونقض لأصل الرسالة التي جاء بها موسى ﷺ، فقد انحرفوا بعد ذلك الخروج المعجز الذي فلق الله لهم به البحر ونجوا من عدوهم فرعون، وكان هذا الخروج المعجز كفيلاً بإيمانهم بالله وبدعوة موسى الذي خلصهم من عدوهم، ولكنهم بمجرد خروجهم طلبوا موسى أن يجعل لهم إلها كما يعبد الوثنيون الذين مروا عليهم، قال تعالى: **﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾**[الأعراف: ١٣٨-١٤٠] ثم اتسعت دائرة الانحراف الذي حل بهم على يد السامري عندما صنع لهم عجلا وعكفوا على عبادته، قال تعالى: **﴿فرجع مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي * قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ * فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ * أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا * وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي * قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾**[طه: ٨٦-٩١].

وأراد موسى أن يبين لهم عظم الجريمة التي اقترفوها، فكان هذا الحوار مع السامري وحكمه عليه وتعليمهم من هو الإله الحق الذي يستحق العبودية، قال تعالى: **﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ * قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي * قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا * إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾**[طه: ٩٥-٩٨].

وبقيت هذه الجريمة الكبرى ولم تنته عقوبتها حتى طلب منهم موسى ﷺ قتل أنفسهم؛ تكفيراً لهم عن عبادتهم للعجل، قال تعالى: **﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ * ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾**[البقرة: ٥٤-٥٦].

ثم تطاولت عليهم القرون والسنون الطويلة التي قص الله خبرها في القرآن الكريم، وبعث الله فيهم الأنبياء والرسل وكان الحال معهم العناد والكفر حتى وصل بهم الحال إلى قتلهم، كما قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ * وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ﴾**[البقرة: ٨٧-٨٨].

وأشار الدكتور المسيري إلى خلاصة عجيبة في افتراق اليهود تعزز ما ذهبنا إليه، حيث قال: "توجد في اليهودية فرق كثيرة تختلف الواحدة منها عن الأخرى اختلافات جوهرية وعميقة تمتد إلى العقائد والأصول، فهي في الواقع ليست كالاختلافات التي توجد بين الفرق المختلفة في الديانات التوحيدية الأخرى. ومن ثم فإن كلمة «فرقة» لا تحمل في اليهودية الدلالة نفسها التي تحملها في سياق ديني آخر. فلا يمكن على سبيل المثال، تصوُّر مسلم يرفض النطق بالشهادتين ويُعترَف به مسلماً، أو مسيحي يرفض الإيمان بحادثة الصلب والقيام ويُعترَف به مسيحياً. أما داخل اليهودية فيمكن ألا يؤمن اليهودي بالإله ولا بالغيب ولا باليوم الآخر ويعد مع هذا يهودياً حتى من منظور اليهودية نفسها. وهذا يرجع إلى طبيعة اليهودية بوصفها تركيباً جيولوجياً تراكمياً يضم عناصر عديدة متناقضة متعايشة دون تمازج أو انصهار"[٦١].

ويطول بنا التتبع لهم على إحداثهم وافتراقهم المستمر، مما يخرجنا عن مقصدنا في هذا البحث المختصر، وسوف ننتقل الآن إلى بيان حالهم مع النبي الخاتم المرسل إلى الإنس والجن والذي بشر به جميع الأنبياء والرسل وهو ما ورثوه في كتبهم التي كانت لديهم وقت بعثته ﷺ.

المطلب الثالث: افتراق اليهود زمن النبي ﷺ.

لقد سبق وبينا في المبحث الأول حال أهل الكتاب كلهم وعدم انفكاكهم عن انتظار النبي الخاتم وحماسهم في أتباعه وقتل الأوس والخزرج معه، وكأنهم يريدون استخدام الطبيعة الأصلية فيهم وهي القتل والفساد، ولكن مجيئه من غير سلالة إسحاق بدل موقفهم كما سنرى، فناصبوه العداء وأجمعوا على الكفر به إلا قلة قليلة هي التي ستفرق عنهم وهي التي أنبأت عنها سورة البينة.

والافتراق الذي يعنيه هذا البحث كما سنرى هو الحديث عن أشخاص آمنوا بالنبي الخاتم وتركوا دينهم الذي كانوا عليه فدخلوا في جماعة المسلمين، وهناك أناس عرفوا الحق ولكنهم افترقوا مع أتباع دينهم الذي كانوا عليه، ولعل هذه الشواهد هي أصدق دليل على ما أردناه في هذا البحث.

وسوف نتحدث عن قسمين هنا من اليهود: وهما من آمن بالنبي ﷺ وافترق عند دينه وقومه والثاني من سال وحاور النبي ﷺ وعرف الحق وبقي على دينه وكفره.

القسم الأول: من آمن بالنبي ﷺ وافترق عند دينه وقومه.

لقد أقام النبي ﷺ الحجة اليهود بالدعوة ابتداء مرات عديدة حتى بلغه منهم الكيد والأذى، فخرج إليهم يوما كما روى

البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: "بينما نحن في المسجد إذ خرج علينا رسول الله ﷺ، فقال: انطلقوا إلى يهود فخرجنا معه حتى جئنا بيت المدراس، فقام النبي ﷺ فناداهم: يا معشر يهود، أسلموا تسلموا فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم، فقال: ذلك أريد ثم قالها الثانية، فقالوا: قد بلغت يا أبا القاسم، ثم قال الثالثة، فقال: اعلموا أن الأرض لله ورسوله، وإني أريد أن أجليكم، فمن وجد منكم بماله شيئا فليبعه، وإلا فاعلموا أنما الأرض لله ورسوله"(٦٢).

وكان من أوائل من استجاب لدعوة النبي ﷺ عن علم ويقين صادق عبد الله بن سلام ﷺ روى البخاري عن أنس ابن مالك قال: "جاء عبد الله بن سلام فقال أشهد أنك رسول الله، وإنك جئت بالحق، وقد علمت يهود إني سيدهم وابن سيدهم، وأعلمهم وابن أعلمهم، فأدعهم فأسألهم عني قبل أن يعلموا إني قد أسلمت فإنهم إن علموا أني قد أسلمت قالوا ما ليس فيّ، فأرسل نبي الله ﷺ: يا معشر يهود ويلكم، اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو، إنكم لتعلمون أني رسول الله حقاً، وإني جئتكم بحق فأسلموا. قالوا: ما نعلمه. قال: فأي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟ قالوا: ذاك سيدنا وابن سيدنا، وأعلمنا وابن أعلمنا، قال: أفرأيتم إنْ أسلم قالوا: حاشا لله ما كان ليسلم، قال: يا ابن سلام اخرج عليهم فخرج، فقال: يا معشر اليهود اتقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو، إنكم لتعلمون أنه رسول الله وأنه جاء بحق، فقالوا: كذبت، فأخرجهم رسول الله ﷺ"(٦٣).

وروى البخاري عن سعد بن أبي وقاص قال: ما سمعت النبي ﷺ يقول: لأحد يمشي على الأرض أنه من أهل الجنة إلا عبد الله بن سلام. قال: وفيه نزلت هذه الآية **﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾**[الأحقاف: ١٠](٦٤).

وروى الإمام أحمد عن عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: انْطَلَقَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا وَأَنَا مَعَهُ حَتَّى دَخَلْنَا كَنِيسَةَ الْيَهُودِ بِالْمَدِينَةِ، يَوْمَ عِيدٍ لَهُمْ، فَكَرِهُوا دُخُولَنَا عَلَيْهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ أَرُونِي اثْنَيْ عشر رجلا يَشْهَدُونَ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، يُحْبِطِ اللهُ عَنْ كُلِّ يَهُودِيٍّ تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ الْغَضَبَ، الَّذِي غَضِبَ عَلَيْهِ. قَالَ: فَأَسْكَتُوا مَا أَجَابَهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ، ثُمَّ رَدَّ عَلَيْهِمْ فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ، ثُمَّ ثَلَّثَ فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ، فَقَالَ: أَبَيْتُمْ فَوَاللهِ إِنِّي لَأَنَا الْحَاشِرُ، وَأَنَا الْعَاقِبُ، وَأَنَا النَّبِيُّ الْمُصْطَفَى، آمَنْتُمْ أَوْ كَذَّبْتُمْ. ثُمَّ انْصَرَفَ وَأَنَا مَعَهُ حَتَّى إِذَا كِدْنَا أَنْ نَخْرُجَ نَادَى رَجُلٌ مِنْ خَلْفِنَا: كَمَا أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ. قَالَ: فَأَقْبَلَ. فَقَالَ ذَلِكَ الرَّجُلُ: أَيَّ رَجُلٍ تَعْلَمُونَي فِيكُمْ يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ؟ قَالُوا: وَاللهِ مَا نَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ فِينَا رَجُلٌ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللهِ مِنْكَ، وَلَا أَفْقَهُ مِنْكَ، وَلَا مِنْ أَبِيكَ قَبْلَكَ، وَلَا مِنْ جَدِّكَ قَبْلَ أَبِيكَ. قَالَ: فَإِنِّي أَشْهَدُ لَهُ بِاللهِ أَنَّهُ نَبِيُّ اللهِ، الَّذِي تَجِدُونَهُ فِي التَّوْرَاةِ، قَالُوا: كَذَبْتَ، ثُمَّ رَدُّوا عَلَيْهِ قَوْلَهُ، وَقَالُوا فِيهِ شَرًّا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: كَذَبْتُمْ لَنْ يُقْبَلَ قَوْلُكُمْ، أَمَّا آنِفًا فَتُثْنُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا أَثْنَيْتُمْ، وَلَمَّا آمَنَ أَكْذَبْتُمُوهُ، وَقُلْتُمْ فِيهِ مَا قُلْتُمْ، فَلَنْ يُقْبَلَ قَوْلُكُمْ. قَالَ: فَخَرَجْنَا وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَنَا وَعَبْدُ اللهِ ابْنُ سَلَامٍ، وَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ فِيهِ: **﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾**[الأحقاف: ١٠](٦٥).

وقد بقي هذا الصحابي العلم المبارك الناصح للأمة والحجة على اليهود داعيا لهذا الدين لم يغب عن مواطن الجهاد والخير حتى توفاه الله، روى ابن أبي شيبة عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، قَالَ: لَمَّا كَانَ حِينَ فُتِحَتْ نَهَاوَنْدُ أَصَابَ الْمُسْلِمُونَ سَبَايَا مِنْ سَبَايَا الْيَهُودِ، قَالَ: وَأَقْبَلَ رَأْسُ الْجَالُوتِ يُفَادِي سَبَايَا الْيَهُودِ، قَالَ: وَأَصَابَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ جَارِيَةً يَسْرَةً صَبِيحَةً، قَالَ: فَأَتَانِي فَقَالَ: لَكَ أَنْ تَمْشِيَ مَعِي إِلَى هَذَا الْإِنْسَانِ عَسَى أَنْ يُثَمِّنَ لِي بِهَذِهِ الْجَارِيَةِ، قَالَ: فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ فَدَخَلَ عَلَى شَيْخٍ مُسْتَكْبِرٍ لَهُ تُرْجُمَانٌ فَقَالَ لِتُرْجُمَانِهِ: سَلْ هَذِهِ الْجَارِيَةَ، هَلْ وَقَعَ عَلَيْهَا هَذَا الْعَرَبِيُّ؟ قَالَ: وَرَأَيْتُهُ غَارَ حِينَ رَأَى حُسْنَهَا، قَالَ: فَرَاطَنَهَا بِلِسَانِهِ فَفَهِمْتُ الَّذِي قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: أَبَحْتَ بِمَا فِي كِتَابِكَ بِسُؤَالِكَ هَذِهِ الْجَارِيَةَ عَلَى مَا وَرَاءَ ثِيَابِهَا، فَقَالَ لِي: كَذَبْتَ

مَا يُدْرِيكَ مَا فِي كِتَابِي، قُلْتُ: أَنَا أَعْلَمُ بِكِتَابِكَ مِنْكَ، قَالَ: أَنْتَ أَعْلَمُ بِكِتَابِي مِنِّي؟ قُلْتُ: أَنَا أَعْلَمُ بِكِتَابِكَ مِنْكَ، قَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ، قَالَ: فَانْصَرَفْتُ ذَلِكَ الْيَوْمَ، قَالَ: فَبَعَثَ إِلَيَّ رَسُولًا يَعْزِمُهُ لِيَأْتِيَنِي، قَالَ: وَبَعَثَ إِلَيَّ بِدَابَّةٍ قَالَ: فَانْطَلَقْتُ إِلَيْهِ لَعَمْرُ اللَّهِ احْتِسَابًا رَجَاءَ أَنْ يُسْلِمَ، فَحَبَسَنِي عِنْدَهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ أَقْرَأُ عَلَيْهِ التَّوْرَاةَ وَيَبْكِي، قَالَ: وَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُ وَاللَّهِ لَهُوَ النَّبِيُّ الَّذِي تَجِدُونَهُ فِي كِتَابِكُمْ، قَالَ: فَقَالَ لِي: كَيْفَ أَصْنَعُ بِالْيَهُودِ؟ قَالَ: قُلْتُ لَهُ: إِنَّ الْيَهُودَ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا؟ قَالَ: فَغَلَبَ عَلَيْهِ الشَّقَاءُ وَأَبَى أَنْ يُسْلِمَ"(٦٦).

وروى البخاري عن ابن عمر –رضي الله عنهما–، قال: "حاربت النضير، وقريظة، فأجلى بني النضير، وأقر قريظة ومن عليهم، حتى حاربت قريظة، فقتل رجالهم، وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين، إلا بعضهم لحقوا بالنبي ﷺ فآمنهم وأسلموا، وأجلى يهود المدينة كلهم: بني قينقاع، وهم رهط عبد الله بن سلام، ويهود بني حارثة، وكل يهود المدينة"(٦٧)، وفي لحظات الفراق الأكيد وقف النبي على طفل يهودي يجود بنفسه في سياقة الموت، فما كان من والده إلا أن أشار إليه بالإيمان بالنبي الخاتم، روى البخاري عن أنس ﷺ قال: "إن غلاماً يهودياً يخدم النبي ﷺ، فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده فقعد عند رأسه، فقال له: أسلم، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له: أطع أبا القاسم، فأسلم فخرج النبي صلى وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار "(٦٨).

وقد أسلم بعض اليهود؛ بسبب خبر ابن الهيبان المشهور، عَنْ شَيْخٍ مِنْ قُرَيْظَةَ أَنَّهُ قَالَ: هَلْ تَدْرِي عَمَّ كَانَ إِسْلَامُ ثَعْلَبَةَ وَأُسَيْدٍ ابْنَيْ سَعْيَةَ، وَأَسَدِ بْنِ عُبَيْدٍ نَفَرٌ مِنْ هُدَلَ لَمْ يَكُونُوا مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ وَلا نَضِيرٍ كَانُوا فَوْقَ ذَلِكَ؟ فَقُلْتُ: لَا، قَالَ: فَإِنَّهُ قَدِمَ عَلَيْنَا رَجُلٌ مِنَ الشَّامِ مِنْ يَهُودَ يُقَالُ لَهُ ابْنُ الْهَيْبَانِ فَأَقَامَ عِنْدَنَا، وَاللهِ مَا رَأَيْنَا رَجُلًا قَطُّ لا يُصَلِّي الْخَمْسَ خَيْرًا مِنْهُ، فَقَدِمَ عَلَيْنَا قَبْلَ مَبْعَثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِسَنَتَيْنِ، فَكُنَّا إِذَا قَحَطْنَا وَقَلَّ عَلَيْنَا الْمَطَرُ نَقُولُ لَهُ: يَا ابْنَ الْهَيْبَانِ اخْرُجْ فَاسْتَسْقِ لَنَا، فَيَقُولُ: لَا وَاللهِ حَتَّى تُقَدِّمُوا أَمَامَ مَخْرَجِكُمْ صَدَقَةً، فَنَقُولُ: كَمْ نُقَدِّمُ؟ فَيَقُولُ: صَاعًا مِنْ تَمْرٍ أَوْ مُدَّيْنِ مِنْ شَعِيرٍ، ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى ظَاهِرَةِ حَرَّتِنَا وَنَحْنُ مَعَهُ فَيَسْتَسْقِي، فَوَاللهِ مَا يَقُومُ مِنْ مَجْلِسِهِ حَتَّى تُمَرَّ الشِّعَابُ، قَدْ فَعَلَ ذَلِكَ غَيْرَ مَرَّةٍ لَا مَرَّتَيْنِ وَلَا ثَلَاثَةً، فَحَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ فَاجْتَمَعْنَا إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ مَا تَرَوْنَهُ أَخْرَجَنِي مِنْ أَرْضِ الْخَمْرِ وَالْخَمِيرِ إِلَى أَرْضِ الْبُؤْسِ وَالْجُوعِ؟ فَقُلْنَا: أَنْتَ أَعْلَمُ، فَقَالَ: إِنَّهُ إِنَّمَا أَخْرَجَنِي أَتَوَقَّعُ خُرُوجَ نَبِيٍّ قَدْ أَظَلَّ زَمَانُهُ، هَذِهِ الْبِلَادُ مُهَاجَرُهُ، فَأَتَّبِعُهُ فَلَا تُسْبَقُنَّ إِلَيْهِ إِذَا خَرَجَ يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، فَإِنَّهُ يَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَيَسْبِي الذَّرَارِيَّ وَالنِّسَاءَ مِمَّنْ خَالَفَهُ، فَلَا يَمْنَعْكُمْ ذَلِكَ مِنْهُ. ثُمَّ مَاتَ، فَلَمَّا كَانَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةُ الَّتِي افْتُتِحَتْ فِيهَا قُرَيْظَةُ قَالَ أُولَئِكَ الْفِتْيَةُ الثَّلَاثَةُ، وَكَانُوا شُبَّانًا أَحْدَاثًا: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ لَلَّذِي كَانَ ذَكَرَ لَكُمُ ابْنُ الْهَيبَانِ. قَالُوا: مَا هُوَ؟ قَالُوا: بَلَى وَاللهِ لَهُوَ يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ، إِنَّهُ وَاللهِ لَهُوَ لِصِفَتِهِ. ثُمَّ نَزَلُوا فَأَسْلَمُوا وَخَلَّوْا أَمْوَالَهَمْ وَأَوْلَادَهُمْ وَأَهَالِيَهُمْ. قَالَ: وَكَانَتْ أَمْوَالُهُمْ فِي الْحِصْنِ مَعَ الْمُشْرِكِينَ، فَلَمَّا فُتِحَ رُدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ"(٦٩).

ومن هؤلاء مخيريق الذي أسلم يوم أحد، روى الأصبهاني قَالَ: وَكَانَ مِنْ حَدِيثِ مُخَيْرِيقٍ، وَكَانَ حَبْرًا عَالِمًا، وَكَانَ رَجُلًا غَنِيًّا، كَثِيرَ الْأَمْوَالِ مِنَ النَّخْلِ، وَكَانَ يَعْرِفُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِصِفَتِهِ، وَبِمَا يَجِدُ فِي عِلْمِهِ، وَغَلَبَ عَلَيْهِ إِلْفُ دِينِهِ، فَلَمْ... فَلَمَّا اقْتَتَلَ النَّاسُ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيمَا بَلَغَنِي يَقُولُ: مُخَيْرِيقٌ خَيْرُ يَهُودَ. وَقَبَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمْوَالَهُ، فَعَامَّةُ صَدَقَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ مِنْهُ(٧٠).

ولم يكن الافتراق خاصاً بالرجال، فقد أسلم بعض النساء كصفية بنت حيي بن أخطب زوج النبي ﷺ وأم المؤمنين تزوجها بعد غزوة خيبر، روى البخاري قال: "فأعتقها النبي ﷺ وتزوجها، فقال له ثابت: يا أبا حمزة، ما أصدقها؟ قال: نفسها، أعتقها وتزوجها، حتى إذا كان بالطريق، جهزتها له أم سليم، فأهدتها له من الليل، فأصبح النبي ﷺ عروساً، فقال: «من كان

عنده شيء فليجئ به» وبسط نطعا، فجعل الرجل يجيء بالتمر، وجعل الرجل يجيء بالسمن، قال: وأحسبه قد ذكر السويق، قال: فحاسوا حيساً، فكانت وليمة رسول الله ﷺ(٧١).

وريحانة بنت عمرو، روى ابن إسحاق قال: "وكان رسول الله ﷺ عرض عليها أن يتزوجها ويضرب عليها الحجاب، فقالت: يا رسول الله، بل تتركني في ملكك، فهو أخف علي وعليك، فتركها، وكانت حين سباها قد تعصت بالإسلام وأبت إلا اليهودية، فوجد رسول الله ﷺ في نفسه، فبينما هو مع أصحابه، إذ سمع وقع نعلين خلفه، فقال: هذا ثعلبة بن سعية يبشرني بإسلام ريحانة، فبشره بإسلامها"(٧٢).

وعلى قلة هذه الفئة التي افترقت من اليهود ودخلت في الدين الحق، إلا أنها تعبر عن حقيقة هذا الافتراق الذي أشارت له السورة، وهذه الفئة على قلتها تعبر عن ذلك العناد والإصرار على الكفر لدى غالبية اليهود، روى البخاري عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: "لو آمن بي عشرة من اليهود، لآمن بي اليهود"(٧٣). قال ابن حجر في شرح هذا الحديث: "عَلَى هَذَا فَالْمُرَادُ عَشَرَةٌ مُخْتَصَّةٌ وَإِلَّا فَقَدْ آمَنَ بِهِ أَكْثَرُ مِنْ عَشَرَةٍ وَقِيلَ الْمَعْنَى لَوْ آمَنَ بِي فِي الزَّمَنِ الْمَاضِي كَالزَّمَنِ الَّذِي قَبْلَ قُدُومِ النَّبِيِّ ﷺ الْمَدِينَةَ أَوْ حَالَ قُدُومِهِ وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّهُمُ الَّذِينَ كَانُوا حِينَئِذٍ رُؤَسَاءَ فِي الْيَهُودِ وَمَنْ عَدَاهُمْ كَانَ تَبَعًا لَهُمْ فَلَمْ يُسْلِمْ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَكَانَ مِنَ الْمَشْهُورِينَ بِالرِّيَاسَةِ فِي الْيَهُودِ عِنْدَ قُدُومِ النَّبِيِّ ﷺ وَمِنْ بَنِي النَّضِيرِ أَبُو يَاسِرِ بْنِ أَخْطَبَ وَأَخُوهُ حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ وَكَعْبُ بْنُ الأَشْرَفِ وَرَافِعُ بْنُ أَبِي الْحَقِيقِ وَمِنْ بَنِي قَيْنُقَاعَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ حَنِيفٍ وَفِنْحَاصُ وَرِفَاعَةُ بْنُ زَيْدٍ وَمِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَاطَيَا وَكَعْبُ بْنُ أَسَدٍ وَشَمْوِيلُ بْنُ زَيْدٍ فَهَؤُلَاءِ لَمْ يَثْبُتْ إِسْلَامُ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَكَانَ كُلٌّ مِنْهُمْ رَئِيسًا فِي الْيَهُودِ وَلَوْ أَسْلَمَ لَاتَّبَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونُوا الْمُرَادَ وَقَدْ رَوَى أَبُو نُعَيْمٍ فِي الدَّلَائِلِ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ الْحَدِيثَ بِلَفْظِ لَوْ آمَنَ بِي الزُّبَيْرُ بْنُ بَاطَيَا وَذَوُوهُ مِنْ رُؤَسَاءِ يَهُودٍ لَأَسْلَمُوا كُلُّهُمْ وَأَغْرَبَ السُّهَيْلِيُّ فَقَالَ" لَمْ يُسْلِمْ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ إِلَّا اثْنَانِ يَعْنِي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ صُورِيَّا كَذَا قَالَ وَلَمْ أَرَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ صُورِيَّا إِسْلَامًا مِنْ طَرِيقٍ صَحِيحَةٍ"(٧٤).

وقال أيضاً: "وعِنْد ابن حِبَّانَ قِصَّةُ إِسْلَامِ جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَحْبَارِ كَزَيْدٍ بن سعنة مُطَوَّلًا وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ أَنَّ يَهُودِيًّا سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ سُورَةَ يُوسُفَ فَجَاءَ وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنَ الْيَهُودِ فَأَسْلَمُوا كُلُّهُمْ لَكِنْ يَحْتَمِلُ أَنْ لَا يَكُونُوا أَحْبَارًا"(٧٥).

وقد ذكر الأستاذ أبو الحسن الندوي –رحمه الله– أنه اطلع على إحصاء قام به العلامة مجيب الله الندوي في كتابه "الصحابة والتابعون من أهل الكتاب": "أنه بلغ عدد من أسلم من اليهود وكان له شرف الصحبة تسعة وثلاثون رجلاً جاءت أسماؤهم وتراجمهم في كتب طبقات الصحابة"(٧٦).

هذه هي المجموعة التي افترقت عن اليهودية، ذلك الافتراق الأبدي الذي فيه النجاة من وعيد الله بالنار، والبشرى في وعد الله بالجنان، وتلك أيضاً هي الفئة التي سالت وتثبتت من نبوته وأصرت على كفرها وانساق بقية اليهود معهم، وإلى وقتنا الحاضر تجد أقل أهل الأديان دخولاً في الإسلام هم اليهود وقليل منهم من يسلم، وهكذا بانت لنا معالم الافتراق الأخير منهم عن البشير الذي بعثه الله للإنس والجن وكان قبول ذلك لمن كتب الله له السعادة، وكان رفضها لمن كتبت عليه الشقاوة.

القسم الثاني: من سأل وحاور النبي ﷺ وعرف الحق وبقي على دينه وكفره.

وهؤلاء عامة اليهود وغالبية علمائهم وأحبارهم ومن تبعهم من القادة والعوام، عرفوا الحق مسبقا وحاوروا النبي الخاتم وجاء الوصف الذي عندهم مطابقا، ولم ينفكوا عن كفرهم وافترقوا عن الحق كما بينت سورة البينة، وهذه شواهد عديدة تنبئ عن حالهم، روى الإمام مسلم عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: كنت قائماً عند رسول الله ﷺ فجاء حبر من أحبار اليهود فقال: السلام عليك يا محمد فدفعته دفعة كاد يصرع منها فقال: لم تدفعني؟ فقلت: ألا تقول يا رسول الله، فقال اليهودي: إنما

ندعوه باسمه الذي سماه به أهله، فقال رسول الله ﷺ: إنّ اسمي محمد الذي سماني به أهلي، فقال اليهودي: جئت أسألك، فقال له رسول الله ﷺ: أينفعك شيء إن حدثتك؟ قال: أسمع بأذني، فنكت رسول الله ﷺ بعود معه، فقال: سل. فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟ فقال رسول الله ﷺ: هم في الظلمة دون الجسر. قال: فمن أول الناس إجازة؟ قال: فقراء المهاجرين. قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: زيادة كبد النون، قال: فما غذاؤهم على إثرها؟ قال: ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها. قال: فما شرابهم عليه؟ قال: من عين فيها تسمى سلسبيلا. قال: صدقت. قال: وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان. قال: ينفعك إن حدثتك؟ . قال: أسمع بأذني. قال: جئت أسألك عن الولد؟ قال: ماء الرجل أبيض، وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة، أذكرا بإذن الله، وإذا علا مني المرأة مني الرجل، آنثا بإذن الله. قال اليهودي: لقد صدقت، وإنك لنبي، ثم انصرف فذهب. فقال رسول الله ﷺ: لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه، وما ليعلم بشيء منه، حتى أتاني الله به»[٧٧].

وامتزج الحقد والإجرام عندما سموا له الشاة لقتله وزعموا أنهم يختبرون صدقه وقد نجاه الله من سمهم ولكنهم أصروا على كفرهم، روى البخاري عن أبي هريرة ﷺ، قال: لما فتحت خيبر أهديت للنبي ﷺ شاة فيها سم، فقال النبي ﷺ: أجمعوا إلي من كان ها هنا من يهود. فجمعوا له، فقال: إني سائلكم عن شيء، فهل أنتم صادقي عنه؟ فقالوا: نعم، قال لهم النبي ﷺ: من أبوكم؟ قالوا: فلان، فقال: كذبتم، بل أبوكم فلان، قالوا: صدقت، قال: فهل أنتم صادقي عن شيء إن سألت عنه؟ فقالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا، فقال لهم: من أهل النار؟ قالوا: نكون فيها يسيراً، ثم تخلفونا فيها، فقال النبي ﷺ: اخسأوا فيها، والله لا نخلفكم فيها أبداً، ثم قال: هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟ فقالوا: نعم يا أبا القاسم، قال: هل جعلتم في هذه الشاة سما؟ قالوا: نعم، قال: ما حملكم على ذلك؟ قالوا: أردنا إن كنت كاذبا نستريح، وإن كنت نبيا لم يضرك"[٧٨].

وفي أوقات السعة والانتظار كانوا يتحدثون عن النبي الموعود ولكن لم تنفعهم تلك الأخبار حيث روى الآجري "عَنْ سَلَمَةَ بْنِ سَلَامَةَ بْنِ وَقْشٍ قَالَ: كَانَ بَيْنَ أَبْيَاتِنَا رَجُلٌ يَهُودِيٌّ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا ذَاتَ غَدَاةٍ ضُحًى، حَتَّى جَلَسَ إِلَى بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ فِي نَادِيهِمْ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ غُلَامٌ شَابٌّ، عَلَى بُرْدَةٍ لِي، مُضْطَجِعٌ بِفِنَاءِ أَهْلِي، فَأَقْبَلَ الْيَهُودِيُّ فَذَكَرَ الْبَعْثَ وَالْقِيَامَةَ، وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَكَانَ الْقَوْمُ أَصْحَابَ وَثَنٍ لَا يَرَوْنَ حَيَاةً تَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَقَالُوا: وَيْحَكَ يَا فُلَانُ، أَتَرَى هَذَا كَائِنًا: أَنَّ اللَّهَ ﷻ يَبْعَثُ الْعِبَادَ بَعْدَ مَوْتِهِمْ، إِذَا صَارُوا تُرَابًا وَعِظَامًا؟ وَأَنَّ غَيْرَ هَذِهِ الدَّارِ يُجْزَوْنَ فِيهَا بِحُسْنِ أَعْمَالِهِمْ، ثُمَّ يَصِيرُونَ إِلَى جَنَّةٍ وَنَارٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، وَايْمُ اللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ حَظِّيَ مِنْ تِلْكَ النَّارِ أَنْ أَنْجُوَ مِنْهَا: أَنْ يُسْجَرَ لِي تَنُّورٌ فِي دَارِكُمْ، ثُمَّ أُجْعَلُ فِيهِ، ثُمَّ يُطْبَقُ عَلَيَّ، قَالُوا لَهُ: وَمَا عَلَامَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: نَبِيٌّ يُبْعَثُ الْآنَ قَدْ أَظَلَّكُمْ زَمَانُهُ وَيَخْرُجُ مِنْ هَذِهِ الْبِلَادِ وَأَشَارَ إِلَى مَكَّةَ، قَالُوا: وَمَتَى يَكُونُ ذَلِكَ الزَّمَانُ؟ قَالَ: إِنْ يَسْتَنْفِدَ هَذَا الْغُلَامُ عُمْرَهُ يُدْرِكُهُ قَالَ سَلَمَةُ: فَمَا ذَهَبَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ، وَإِنَّ الْيَهُودِيَّ لَحَيٌّ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، فَآمَنَّا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَصَدَّقْنَاهُ، وَكَفَرَ بِهِ الْيَهُودِيُّ وَكَذَّبَهُ، فَكُنَّا نَقُولُ لَهُ: وَيْلَكَ يَا فُلَانُ أَيْنَ مَا كُنْتَ تَقُولُ؟ فَيَقُولُ: إِنَّهُ «لَيْسَ بِهِ، بَغْيًا وَحَسَدًا» قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ –رَحِمَهُ اللَّهُ–: فَأَكْثَرُ الْيَهُودِ كَفَرُوا، وَالْقَلِيلُ مِنْهُمْ آمَنَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مِثْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، وَبَعْدَهُ كَعْبُ الْأَحْبَار "[٧٩].

وهذا حيي بن أخطب وأخيه من أكثر اليهود علماً بالنبي ووصفه ولكنهم اختاروا عداوته حتى نالتهم العقوبة العاجلة يوم بني قريظة. روى البيهقي: عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: وَبِالْمَدِينَةِ مَقْدِمَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَوْثَانٌ يَعْبُدُهَا رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَمْ يَتْرُكُوهَا فَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ قَوْمُهُمْ، وَعَلَى تِلْكَ الْأَوْثَانِ، فَهَدَمُوهَا، وَعَمَدَ أَبُو يَاسِرِ بْنُ أَخْطَبَ أَخُو حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ، وَهُوَ أَبُو صَفِيَّةَ

زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ فَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَمِعَ مِنْهُ وَحَادَثَهُ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُصْرَفَ الْقِبْلَةُ نَحْوَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَقَالَ أَبُو يَاسِرٍ: يَا قَوْمِ، أَطِيعُونِي؛ فَإِنَّ اللهَ ﷻ قَدْ جَاءَكُمْ بِالَّذِي كُنْتُمْ تَنْتَظِرُونَ، فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تُخَالِفُوهُ، فَانْطَلَقَ أَخُوهُ حُيَيٌّ حِينَ سَمِعَ ذَلِكَ، وَهُوَ سَيِّدُ الْيَهُودَ يَوْمَئِذٍ، وَهُمَا مِنْ بَنِي النَّضِيرِ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَجَلَسَ إِلَيْهِ، وَسَمِعَ مِنْهُ فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ وَكَانَ فِيهِمْ مُطَاعًا، فَقَالَ: أَتَيْتُ مِنْ عِنْدِ رَجُلٍ وَاللهِ لا أَزَالُ لَهُ عَدُوًّا أَبَدًا. فَقَالَ لَهُ أَخُوهُ أَبُو يَاسِرٍ يَا ابْنَ أُمِّ، أَطِعْنِي فِي هَذَا الْأَمْرِ، ثُمَّ اعْصِنِي فِيمَا شِئْتَ بَعْدَهُ، لَا تَهْلِكْ قَالَ: لا وَاللهِ لا أُطِيعُكَ، وَاسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ فَاتَّبَعَهُ قَوْمُهُ عَلَى رَأْيِهِ"(٨٠).

وهذه جمهرة الأحبار تجتمع لترى أوصاف النبي ثم يجمعون على ضلالة الكفر والحسد. روى البيهقي عن الزُّهْرِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلاً مِنْ عُزَيْنَةَ يُحَدِّثُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيِّبِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ، حَدَّثَهُمْ، أَنَّ أَحْبَارَ يَهُودَ اجْتَمَعُوا فِي بَيْتِ الْمِدْرَاسِ حِينَ قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، وَقَدْ زَنَى مِنْهُمْ رَجُلٌ بَعْدَ إِحْصَانِهِ بِامْرَأَةٍ مِنَ الْيَهُودِ قَدْ أَحْصَنَتْ، فَقَالَ: انْطَلِقُوا بِهَذَا الرَّجُلِ وَبِهَذِهِ الْمَرْأَةِ إِلَى مُحَمَّدٍ فَسَلُوهُ: كَيْفَ الْحَكَمُ فِيهِمَا؟ وَوَلُّوهُ الْحُكْمَ عَلَيْهِمَا، فَإِنْ عَمِلَ بِعَمَلِكُمْ فِيهِمَا مِنَ التَّجْبِيَةِ، وَهُوَ الْجَلْدُ بِحَبْلٍ مِنْ لِيفٍ مَطْلِيٍّ بِقَارٍ ثُمَّ يُسَوَّدُ وُجُوهُهُمَا ثُمَّ يُحْمَلَانِ عَلَى حِمَارَيْنِ وَيُحَوَّلُ وُجُوهُهُمَا مِنْ قُبُلٍ إِلَى دُبُرِ الْحِمَارِ، فَاتَّبِعُوهُ وَصَدِّقُوهُ، فَإِنَّمَا هُوَ مَلِكٌ، وَإِنْ هُوَ حَكَمَ فِيهِمَا بِالرَّجْمِ، فَاحْذَرُوا عَلَى مَا فِي أَيْدِيكُمْ أَنْ يَسْلُبَكُمُوهُ، فَأَتَوْهُ فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ هَذَا الرَّجُلُ قَدْ زَنَى بَعْدَ إِحْصَانِهِ بِامْرَأَةٍ قَدْ أَحْصَنَتْ، فَاحْكُمْ فِيهِمَا فَقَدْ وَلَّيْنَاكَ الْحُكْمَ فِيهِمَا، فَمَشَى رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى أَتَى أَحْبَارَهُمْ فِي بَيْتِ الْمِدْرَاسِ فَقَالَ: "يَا مَعْشَرَ يَهُودَ أَخْرِجُوا إِلَيَّ أَعْلَمَكُمْ" فَأَخْرَجُوا إِلَيْهِ عَبْدَ اللهِ بْنَ صُورِيَا الْأَعْوَرَ، وَقَدْ رَوَى بَعْضُ بَنِي قُرَيْظَةَ أَنَّهُمْ أَخْرَجُوا إِلَيْهِ يَوْمَئِذٍ مَعَ ابْنِ صُورِيَا أَبَا يَاسِرِ بْنَ أَخْطَبَ وَوَهْبَ بْنَ يَهُوذَا، فَقَالُوا: هَؤُلَاءِ عُلَمَاؤُنَا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ خَطِلَ أَمْرُهُمْ، إِلَى أَنْ قَالُوا لِابْنِ صُورِيَا: هَذَا أَعْلَمُ مَنْ بَقِيَ بِالتَّوْرَاةِ، فَخَلَا بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَكَانَ غُلَامًا شَابًّا مِنْ أَحْدَثِهِمْ سِنًّا، فَأَلَظَّ بِهِ الْمَسْأَلَةَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ لَهُ: "يَا ابْنَ صُورِيَا أَنْشُدُكَ اللهَ وَأُذَكِّرُكَ أَيَّامَهُ عِنْدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ اللهَ حَكَمَ فِيمَنْ زَنَى بَعْدَ إِحْصَانِهِ بِالرَّجْمِ فِي التَّوْرَاةِ؟" فَقَالَ: اللهُمَّ نَعَمْ، أَمَا وَاللهِ يَا أَبَا الْقَاسِمِ إِنَّهُمْ لَيَعْرِفُونَ أَنَّكَ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَلَكِنَّهُمْ يَحْسُدُونَكَ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَمَرَ بِهِمَا فَرُجِمَا عِنْدَ بَابِ مَسْجِدِهِ فِي بَنِي غَنْمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ، ثُمَّ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ ابْنُ صُورِيَا، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: **﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾**[المائدة: ٤١]، إِلَى قَوْلِهِ: **﴿سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾**[المائدة: ٤١](٨١).

وقد حاورهم رسول في مواطن عديدة ولكن بلا جدوى روى البيهقي في الدلائل، قال: "ودَخَلْت عَلَى رَسُولِ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ– جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ: أَمَا وَاللهِ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ، قَالُوا: مَا نَعْلَمُ ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ: **﴿لكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِما أَنْزَلَ إِلَيْكَ، أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾**[النساء: ١٦٦]، وَأَتَى رَسُولَ اللهِ –صَلَّى الله عليه وآله وَسَلَّمَ– نُعْمَانُ بْنُ أَضَا، وَبَحَرِيُّ بْنُ عَمْرٍو، وَشَأْسُ بْنُ عَدِيٍّ فَكَلَّمُوهُ وَكَلَّمَهُمْ، وَدَعَاهُمْ إِلَى اللهِ ﷻ، وَحَذَّرَهُمْ نِقْمَتَهُ قَالُوا مَا تُخَوِّفُنَا يَا مُحَمَّدُ نَحْنُ وَاللهِ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، كَقَوْلِ النَّصَارَى، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ فِيهِمْ وَقالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصارى: **﴿نَحْنُ أَبْناءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾**[المائدة: ١٨]، إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، فَقَالَ لَهُمْ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَسَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَعُقْبَةُ بْنُ وَهْبٍ: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ اتَّقُوا اللَّه فو اللَّه إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّه وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَذْكُرُونَهُ لَنَا قَبْلَ مَبْعَثِهِ وَتَصِفُونَهُ لَنَا بِصِفَتِهِ، فَقَالَ رَافِعُ بْنُ حُرَيْمِلَةَ، وَوَهْبُ ابْنُ يهودا: مَا قُلْنَا هَذَا لَكُمْ وَلَا أَنْزَلَ اللَّه مِنْ كِتَابٍ بَعْدَ مُوسَى، وَلَا أَرْسَلَ بَشِيرًا وَلَا نَذِيرًا مِنْ بَعْدِهِ فَأَنْزَلَ اللَّه ﷻ فِي قَوْلِهِمَا **﴿يَا أَهْلَ الْكِتابِ قَدْ جاءَكُمْ رَسُولُنا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾** إِلَى قَوْلِهِ **﴿وَاللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**[المائدة: ١٩](٨٢).

إذن، هذا هو الافتراق الذي قصدته سورة البينة في اليهود افتراق أبدي عن الحق بين فئتين: الفئة المؤمنة بالقسم الأول كما بينا، والفئة الثانية بالقسم الثاني: وهم عامة من بقي على دينه، ورفض الدين الحق.

المطلب الرابع: افتراق النصارى زمن البعثة النبوية.

الحديث عن افتراق النصارى عن دينهم والدخول في الإسلام له خصائص أخرى ليست كاليهود، فإذا كان النبي ﷺ قد قابل اليهود وعرف مكائدهم وحقدهم، وانتهت العلاقة معهم مبكرا على نهج الصراع والحروب، وآمن منهم عدد قليل كما سبق وبينا، وهو الذين أشارت إليهم سورة البينة في الافتراق عن دينهم إلى الدين الحق، فإن النصارى كان لهم خصائص أخرى نص عليها الله تعالى في كتابه وبشر بها، فقد أثنى الله على بعضهم فقال –سبحانه–: **﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ * وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾** [المائدة: ٨٤].

وقال تعالى في وصف بعضهم: **﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾**[الحديد: ٢٧].

إن هذه الخصائص والأوصاف تبين أسباب دخول أعداد هائلة من النصارى عبر التاريخ في الإسلام وافتراقهم عن دينهم إلى الدين الحق الخاتم، وإذا كان بعض المفسرين ينسب الآية إلى قدوم عدد من نصارى الحبشة إلى مكة والإيمان بالنبي ﷺ والدخول في الإسلام، كما روى الإمام الطبري: "عن سعيد بن جبير قال: بعث النجاشيّ وفدًا إلى النبي ﷺ، فقرأ عليهم النبي ﷺ فأسلموا. قال: فأنزل الله تعالى فيهم: **﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾**[المائدة: ٨٢]، إلى آخر الآية. قال: فرجعوا إلى النجاشيّ فأخبروه، فأسلم النجاشي، فلم يزل مسلمًا حتى مات. قال: فقال رسول الله ﷺ: إنّ أخاكم النجاشيَّ قد مات، فصلُّوا عليه! فصلَّى عليه رسول الله ﷺ بالمدينة"[(٨٣)] ولكن الآية أعم من ذلك وأشمل تحت قاعدة التفسير القائلة: "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"[(٨٤)].

لأن الواقع التاريخي يبين لك مدى الافتراق في النصارى واختيارهم الإسلام طوعاً لا كرهاً، حيث امتد الإسلام فيهم في بلاد الشام، ومصر، والعراق، وفارس، وإفريقيا، وتركيا، وشرق أوروبا وغربها، وغيرها من بقاع العالم.

كما أن الشواهد التي سنأتي بها عن مرحلة النبوة تعبر عن روح متميزة تجد فيها تلك الرحمة والرأفة المذكورة في كتاب الله، وهذه الشواهد أيضا تعبر عن قسمين في النصارى كما في اليهود.

القسم الأول: من آمن بالنبي ﷺ وافترق عن دينه وقومه.

كان ورقة بن نوفل ممن تنصر وكان عنده علم من الكتاب حيث كان يسمى القس، روى ابن أبي شيبة في مصنفه قال: "ثُمَّ أَتَى وَرَقَةَ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: أَبْشِرْ ثُمَّ أَبْشِرْ ثُمَّ أَبْشِرْ، فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ الرَّسُولُ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ عِيسَى بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ، فَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ أَحْمَدُ، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّكَ مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، وَلَيُوشِكُ أَنْ تُؤْمَرَ بِالْقِتَالِ، وَلَئِنْ أُمِرْتُ بِالْقِتَالِ وَأَنَا حَيٌّ لَأُقَاتِلَنَّ مَعَكَ، فَمَاتَ وَرَقَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: رَأَيْتُ الْقَسَّ فِي الْجَنَّةِ عَلَيْهِ ثِيَابٌ خُضْرٌ"[(٨٥)].

وكان ممن آزر رسول الله ﷺ حين جاءه جبريل بالوحي للمرة الأولى وطمأنه وبشره، روى البخاري عن عائشة –رضي الله عنها–: "فرجع النبي ﷺ إلى خديجة يرجف فؤاده، فانطلقت به إلى ورقة بن نوفل، وكان رجلا تنصر، يقرأ الإنجيل بالعربية، فقال ورقة: ماذا ترى؟ فأخبره، فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى، وإن أدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا

"الناموس: صاحب السر الذي يطلعه بما يستره عن غيره"(٨٦).

وفي رواية أخرى "ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي وهو ابن عم خديجة أخو أبيها، وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي، فيكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: أي ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال ورقة: ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره النبي ﷺ ما رأى، فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى، يا ليتني فيها جذعا، أكون حيا حين يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ: أوَ مخرجي هم؟ فقال ورقة: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً، ثم لم ينشب ورقة أن توفي"(٨٧).

ومن أقدم من أسلم من النصارى صهيب بن سنان الرومي ﷺ، وهو عربي سباه الروم صغيراً ثم قدم إلى مكة وكان مولى أعطاه النبي ﷺ وصفا خاصا مع اثنين من الصحابة لم يعطه لأحد غيرهم، روى الإمام أحمد "عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَنَا سَابِقُ الْعَرَبِ، وَسَلْمَانُ سَابِقُ فَارِسَ، وَصُهَيْبٌ سَابِقُ الرُّومِ، وَبِلالٌ سَابِقُ الْحَبَشِ"(٨٨).

أما النصارى الذين آمنوا خارج نطاق مكة فمن أوائلهم على الإطلاق النجاشي ﷺ (ملك الحبشة) وقصته مع المهاجرين الأوائل للحبشة وثبوت إسلامه وصلاة النبي ﷺ صلاة الغائب، أمر مشهور وثابت، روى الطيالسي عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: "بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى النَّجَاشِيِّ وَنَحْنُ ثَمَانُونَ رَجُلًا وَمَعَنَا جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَعُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ وَبَعَثَتْ قُرَيْشٌ عُمَارَةَ وَعَمْرَو بْنَ الْعَاصِ وَبَعَثُوا مَعَهُمَا هَدِيَّةً إِلَى النَّجَاشِيِّ فَلَمَّا دَخَلَا عَلَيْهِ سَجَدَا لَهُ وَدَفَعَا إِلَيْهِ الْهَدِيَّةَ، وَقَالَا: إِنَّ نَاسًا مِنْ قَوْمِنَا رَغِبُوا عَنْ دِينِنَا وَقَدْ نَزَلُوا أَرْضَكَ قَالَ: فَأَيْنَ هُمْ؟ قَالُوا: هُمْ فِي أَرْضِكَ فَبَعَثَ إِلَيْهِمُ النَّجَاشِيُّ قَالَ: فَقَالَ جَعْفَرٌ: أَنَا خَطِيبُكُمُ الْيَوْمَ فَاتَّبَعُوهُ حَتَّى دَخَلُوا عَلَى النَّجَاشِيِّ فَلَمْ يَسْجُدُوا لَهُ فَقَالَ: مَالَكُمْ لَا تَسْجُدُونَ لِلْمَلِكِ؟ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ ﷻ بَعَثَ [ص: ٢٧١] إِلَيْنَا نَبِيَّهِ ﷺ فَأَمَرَنَا أَنْ لَا نَسْجُدَ إِلَّا لِلَّهِ، فَقَالَ النَّجَاشِيُّ: وَمَا ذَاكَ؟ فَأُخْبِرَ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: إِنَّهُمْ يُخَالِفُونَكَ فِي عِيسَى قَالَ: فَمَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى وَأُمِّهِ؟ قَالَ: نَقُولُ كَمَا قَالَ اللَّهُ ﷻ هُوَ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ الَّتِي لَمْ يَمْسَسْهَا بَشَرٌ وَلَمْ يَفْرِضْهَا وَلَدٌ فَتَنَاوَلَ النَّجَاشِيُّ عُودًا فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْقِسِّيسِينَ وَالرُّهْبَانِ مَا تَزِيدُونَ عَلَى مَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ مَا يَزِنُ هَذِهِ، فَمَرْحَبًا بِكُمْ وَبِمَنْ جِئْتُمْ مِنْ عِنْدِهِ فَأَنَا أَشْهَدُ لَهُ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَلَوَدِدْتُ أَنِّي عِنْدَهُ فَأَحْمِلُ نَعْلَيْهِ أَوْ قَالَ: أَخْدُمُهُ، فَانْزِلُوا حَيْثُ شِئْتُمْ مِنْ أَرْضِي"(٨٩).

وروى الإمام أحمد في مسنده "عن جعفر بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولاً مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَعَفَافَهُ، "فَدَعَانَا إِلَى اللهِ لِنُوَحِّدَهُ، وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الحِجَارَةِ وَالأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ، وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالَ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ"، قَالَ: فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الإسلام، فَصَدَّقْنَاهُ وَآمَنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ، فَعَبَدْنَا اللهَ وَحْدَهُ، فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا، وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا، فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا، فَعَذَّبُونَا وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا لِيَرُدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللهِ، وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنَ الخَبَائِثِ، فَلَمَّا قَهَرُونَا وَظَلَمُونَا، وَشَقُّوا عَلَيْنَا، وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا، خَرَجْنَا إِلَى بَلَدِكَ، وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ، وَرَغِبْنَا فِي جِوَارِكَ، وَرَجَوْنَا أَنْ لَا نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ، قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: فَاقْرَأْهُ عَلَيَّ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ (كهيعص)،

قَالَتْ: فَبَكَى وَاللهِ النَّجَاشِيُّ حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ، وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّى أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ حِينَ سَمِعُوا مَا تَلا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ: إِنَّ هَذَا وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ، انْطَلِقَا فَوَاللهِ لا أُسْلِمُهُمْ الَيْكُم أبداً، وَلا أُكَادُ، قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَلَمَّا خَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ، قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: وَاللهِ لانَبِّئَنَّهُمْ غَدًا عَيْبَهُمْ عِنْدَهُمْ، ثُمَّ أَسْتَأْصِلُ بِهِ خَضْرَاءَهُمْ، قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ –وَكَانَ أَتْقَى الرَّجُلَيْنِ فِينَا–: لَا تَفْعَلْ فَإِنَّ لَهُمِ أَرْحَامًا، وَإِنْ كَانُوا قَدْ خَالَفُونَا. قَالَ: وَاللهِ لأخبرنه أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَبْدٌ، قَالَتْ: ثُمَّ غَدَا عَلَيْهِ الْغَدَ، فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ قَوْلاً عَظِيمًا، فَأَرْسِلِ إِلَيْهِمْ فَاسْأَلْهُمْ عَمَّا يَقُولُونَ فِيهِ، قَالَتْ: فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ يَسْأَلُهُمْ عَنْهُ، قَالَتْ: وَلَمْ يَنْزِلْ بِنَا مِثْلُهُ، فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى إِذَا سَأَلَكُمْ عَنْهُ؟ قَالُوا: نَقُولُ وَاللهِ فِيهِ مَا قَالَ اللهُ، وَمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا كَائِنًا فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ، قَالَ لَهُمْ: مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ؟ فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: نَقُولُ فِيهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا: هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَرُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ، قَالَتْ: فَضَرَبَ النَّجَاشِيُّ يَدَهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَأَخَذَ مِنْهَا عُودًا، ثُمَّ قَالَ: مَا عَدَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا قُلْتَ هَذَا الْعُودَ، فَتَنَاخَرَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ حِينَ قَالَ مَا قَالَ، فَقَالَ: وَإِنْ نَخَرْتُمْ وَاللهِ اذْهَبُوا، فَأَنْتُمْ سُيُومٌ بِأَرْضِي – وَالسُّيُومُ: الْآمِنُونَ"(٩٠).

وقد صلى عليه النبي ﷺ صلاة الغائب عندما وصله خبر موته روى البخاري: "عن جابر ﷺ، قال النبي ﷺ حين مات النجاشي: «مات اليوم رجل صالح، فقوموا فصلوا على أخيكم أصحمة»(٩١).

ومن الذين نقلوا لنا إجماع رهبان النصارى وعلمائهم على البشرى بنبوة نبينا الصحابي سلمان الفارسي ﷺ، الذي تنقل بين عدد كبير منهم وكلهم كان يوصيه بالذهاب إلى جزيرة العرب موطن مخرجه وبعثته، روى البخاري عن سلمان الفارسي، «أنه تداوله بضعة عشر، من رب(٩٢) إلى رب»(٩٣)، قد روى هذا الصحابي قصته مطولة في مسند الإمام أحمد أسوقها كلها للدلالة على حال الرهبان والعلماء في ترقبهم وانتظارهم لبعثة النبي الخاتم: "عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ حَدِيثَهُ مِنْ فِيهِ، قَالَ: كُنْتُ رَجُلًا فَارِسِيًّا مِنْ أَهْلِ أَصْبَهَانَ مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ مِنْهَا يُقَالُ لَهَا جَيٌّ، وَكَانَ أَبِي دِهْقَانَ قَرْيَتِهِ، وَكُنْتُ أَحَبَّ خَلْقِ اللهِ إِلَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حُبُّهُ إِيَّايَ حَتَّى حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ كَمَا تُحْبَسُ الْجَارِيَةُ، وَاجْتَهَدْتُ فِي الْمَجُوسِيَّةِ حَتَّى كُنْتُ قَطَنَ النَّارِ الَّذِي يُوقِدُهَا لَا يَتْرُكُهَا تَخْبُو سَاعَةً، قَالَ: وَكَانَتْ لِأَبِي ضَيْعَةٌ عَظِيمَةٌ، قَالَ: فَشُغِلَ فِي بُنْيَانٍ لَهُ يَوْمًا، فَقَالَ لِي: يَا بُنَيَّ، إِنِّي قَدْ شُغِلْتُ فِي بُنْيَانٍ هَذَا الْيَوْمَ عَنْ ضَيْعَتِي، فَاذْهَبْ فَاطَّلِعْهَا، وَأَمَرَنِي فِيهَا بِبَعْضِ مَا يُرِيدُ، فَخَرَجْتُ أُرِيدُ ضَيْعَتَهُ، فَمَرَرْتُ بِكَنِيسَةٍ مِنْ كَنَائِسِ النَّصَارَى، فَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ فِيهَا وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَكُنْتُ لَا أَدْرِي مَا أَمْرُ النَّاسِ لِحَبْسِ أَبِي إِيَّايَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا مَرَرْتُ بِهِمْ، وَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ، دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ أَنْظُرُ مَا يَصْنَعُونَ، قَالَ: فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ أَعْجَبَنِي صَلَاتُهُمْ، وَرَغِبْتُ فِي أَمْرِهِمْ، وَقُلْتُ: هَذَا وَاللهِ خَيْرٌ مِنَ الدِّينِ الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ، فَوَاللهِ مَا تَرَكْتُهُمْ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، وَتَرَكْتُ ضَيْعَةَ أَبِي وَلَمْ آتِهَا، فَقُلْتُ لَهُمْ: أَيْنَ أَصْلُ هَذَا الدِّينِ؟ قَالُوا: بِالشَّامِ قَالَ: ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى أَبِي، وَقَدْ بَعَثَ فِي طَلَبِي وَشَغَلْتُهُ عَنْ عَمَلِهِ كُلِّهِ، قَالَ: فَلَمَّا جِئْتُهُ، قَالَ: أَيْ بُنَيَّ، أَيْنَ كُنْتَ؟ أَلَمْ أَكُنْ عَهِدْتُ إِلَيْكَ مَا عَهِدْتُ؟ قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَتِ، مَرَرْتُ بِنَاسٍ يُصَلُّونَ فِي كَنِيسَةٍ لَهُمْ فَأَعْجَبَنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ دِينِهِمْ، فَوَاللهِ مَازِلْتُ عِنْدَهُمْ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، قَالَ: أَيْ بُنَيَّ، لَيْسَ فِي ذَلِكَ الدِّينِ خَيْرٌ، دِينُكَ وَدِينُ آبَائِكَ خَيْرٌ مِنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: كَلَّا وَاللهِ إِنَّهُ لَخَيْرٌ مِنْ دِينِنَا، قَالَ: فَخَافَنِي، فَجَعَلَ فِي رِجْلَيَّ قَيْدًا، ثُمَّ حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ، قَالَ: وَبَعَثَتْ إِلَى النَّصَارَى فَقُلْتُ لَهُمْ: إِذَا قَدِمَ عَلَيْكُمْ رَكْبٌ مِنَ الشَّامِ تُجَّارٌ مِنَ النَّصَارَى فَأَخْبِرُونِي بِهِمْ، قَالَ: فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ رَكْبٌ مِنَ الشَّامِ تُجَّارٌ مِنَ النَّصَارَى، قَالَ: فَأَخْبَرُونِي بِهِمْ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُمْ: إِذَا قَضَوْا حَوَائِجَهُمْ وَأَرَادُوا الرَّجْعَةَ إِلَى بِلَادِهِمْ فَآذِنُونِي بِهِمْ، قَالَ: فَلَمَّا أَرَادُوا الرَّجْعَةَ إِلَى بِلَادِهِمْ أَخْبَرُونِي بِهِمْ، فَأَلْقَيْتُ الْحَدِيدَ مِنْ رِجْلَيَّ، ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ الشَّامَ، فَلَمَّا قَدِمْتُهَا،

قُلْتُ: مَنْ أَفْضَلُ أَهْلِ هَذَا الدِّينِ؟ قَالُوا: الْأَسْقُفُّ فِي الْكَنِيسَةِ، قَالَ: فَجِئْتُهُ، فَقُلْتُ: إِنِّي قَدْ رَغِبْتُ فِي هَذَا الدِّينِ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ أَخْدُمُكَ فِي كَنِيسَتِكَ، وَأَتَعَلَّمُ مِنْكَ وَأُصَلِّي مَعَكَ، قَالَ: فَادْخُلْ فَدَخَلْتُ مَعَهُ، قَالَ: فَكَانَ رَجُلَ سَوْءٍ يَأْمُرُهُمْ بِالصَّدَقَةِ وَيُرَغِّبُهُمْ فِيهَا، فَإِذَا جَمَعُوا إِلَيْهِ مِنْهَا أَشْيَاءَ، اكْتَنَزَهُ لِنَفْسِهِ، وَلَمْ يُعْطِهِ الْمَسَاكِينَ، حَتَّى جَمَعَ سَبْعَ قِلَالٍ مِنْ ذَهَبٍ وَوَرِقٍ، قَالَ: وَأَبْغَضْتُهُ بُغْضًا شَدِيدًا لِمَا رَأَيْتُهُ يَصْنَعُ، ثُمَّ مَاتَ، فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ النَّصَارَى لِيَدْفِنُوهُ، فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنَّ هَذَا كَانَ رَجُلَ سَوْءٍ يَأْمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ وَيُرَغِّبُكُمْ فِيهَا فَإِذَا جِئْتُمُوهُ بِهَا اكْتَنَزَهَا لِنَفْسِهِ، وَلَمْ يُعْطِ الْمَسَاكِينَ مِنْهَا شَيْئًا، قَالُوا: وَمَا عِلْمُكَ بِذَلِكَ؟ قَالَ: قُلْتُ أَنَا أَدُلُّكُمْ عَلَى كَنْزِهِ، قَالُوا: فَدُلَّنَا عَلَيْهِ، قَالَ: فَأَرَيْتُهُمْ مَوْضِعَهُ، قَالَ: فَاسْتَخْرَجُوا مِنْهُ سَبْعَ قِلَالٍ مَمْلُوءَةٍ ذَهَبًا وَوَرِقًا، قَالَ: فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا: وَاللهِ لا نَدْفِنُهُ أَبَدًا فَصَلَبُوهُ، ثُمَّ رَجَمُوهُ بِالْحِجَارَةِ، ثُمَّ جَاءُوا بِرَجُلٍ آخَرَ، فَجَعَلُوهُ بِمَكَانِهِ، قَالَ: يَقُولُ سَلْمَانُ: فَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا لا يُصَلِّي الْخَمْسَ، أَرَى أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْهُ، أَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا، وَلا أَرْغَبُ فِي الآخِرَةِ، وَلا أَدْأَبُ لَيْلاً وَنَهَاراً مِنْهُ، قَالَ: فَأَحْبَبْتُهُ حُبًّا لَمْ أُحِبَّهُ مَنْ قَبْلَهُ، فَأَقَمْتُ مَعَهُ زَمَانًا، ثُمَّ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ إِنِّي كُنْتُ مَعَكَ وَأَحْبَبْتُكَ حُبًّا لَمْ أُحِبَّهُ مَنْ قَبْلَكَ وَقَدْ حَضَرَكَ مَا تَرَى مِنْ أَمْرِ اللهِ، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي، وَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: أَيْ بُنَيَّ وَاللهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا الْيَوْمَ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ، لَقَدْ هَلَكَ النَّاسُ وَبَدَّلُوا وَتَرَكُوا أَكْثَرَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ، إِلا رَجُلاً بِالْمَوْصِلِ، وَهُوَ فُلَانٌ، فَهُوَ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ، فَالْحَقْ بِهِ، قَالَ: فَلَمَّا مَاتَ وَغَيَّبَ، لَحِقْتُ بِصَاحِبِ الْمَوْصِلِ فَقُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ، إِنَّ فُلَانًا أَوْصَانِي عِنْدَ مَوْتِهِ أَنْ أَلْحَقَ بِكَ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّكَ عَلَى أَمْرِهِ، قَالَ: فَقَالَ لِي: أَقِمْ عِنْدِي فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ، فَوَجَدْتُهُ خَيْرَ رَجُلٍ عَلَى أَمْرِ صَاحِبِهِ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، قُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ، إِنَّ فُلَانًا أَوْصَى بِي إِلَيْكَ، وَأَمَرَنِي بِاللُّحُوقِ بِكَ، وَقَدْ حَضَرَكَ مِنَ اللهِ ﷺ مَا تَرَى، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي، وَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: أَيْ بُنَيَّ، وَاللهِ مَا أَعْلَمُ رَجُلًا عَلَى مِثْلِ مَا كُنَّا عَلَيْهِ إِلَّا بِنَصِيبِينَ، وَهُوَ فُلَانٌ، فَالْحَقْ بِهِ، قَالَ: فَلَمَّا مَاتَ وَغَيَّبَ لَحِقْتُ بِصَاحِبِ نَصِيبِينَ، فَجِئْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ خَبَرِي، وَمَا أَمَرَنِي بِهِ صَاحِبِي، قَالَ: فَأَقِمْ عِنْدِي، فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ، فَوَجَدْتُهُ عَلَى أَمْرِ صَاحِبَيْهِ، فَأَقَمْتُ مَعَ خَيْرِ رَجُلٍ، فَوَاللهِ مَا لَبِثَ أَنْ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ، فَلَمَّا حَضَرَ، قُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ، إِنَّ فُلَانًا كَانَ أَوْصَى بِي إِلَى فُلَانٍ، ثُمَّ أَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَيْكَ، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي، وَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: أَيْ بُنَيَّ، وَاللهِ مَا نَعْلَمُ أَحَدًا بَقِيَ عَلَى أَمْرِنَا آمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ إِلَّا رَجُلًا بِعَمُّورِيَّةَ، فَإِنَّهُ عَلَى مِثْلِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ فَأْتِهِ، قَالَ: فَإِنَّهُ عَلَى أَمْرِنَا، قَالَ: فَلَمَّا مَاتَ وَغَيَّبَ لَحِقْتُ بِصَاحِبِ عَمُّورِيَّةَ، وَأَخْبَرْتُهُ خَبَرِي، فَقَالَ: أَقِمْ عِنْدِي، فَأَقَمْتُ مَعَ رَجُلٍ عَلَى هَدْيِ أَصْحَابِهِ وَأَمْرِهِمْ، قَالَ: وَاكْتَسَبْتُ حَتَّى كَانَ لِي بَقَرَاتٌ وَغُنَيْمَةٌ، قَالَ: ثُمَّ نَزَلَ بِهِ أَمْرُ اللهِ، فَلَمَّا حَضَرَ قُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ، إِنِّي كُنْتُ مَعَ فُلَانٍ، فَأَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَى فُلَانٍ، وَأَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَى فُلَانٍ، ثُمَّ أَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَيْكَ، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي، وَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: أَيْ بُنَيَّ، وَاللهِ مَا أَعْلَمُهُ أَصْبَحَ عَلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ آمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ، وَلَكِنَّهُ قَدْ أَظَلَّكَ زَمَانُ نَبِيٍّ هُوَ مَبْعُوثٌ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ يَخْرُجُ بِأَرْضِ الْعَرَبِ، مُهَاجِرًا إِلَى أَرْضٍ بَيْنَ حَرَّتَيْنِ بَيْنَهُمَا نَخْلٌ، بِهِ عَلَامَاتٌ لَا تَخْفَى: يَأْكُلُ الْهَدِيَّةَ، وَلا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلْحَقَ بِتِلْكَ الْبِلَادِ فَافْعَلْ، قَالَ: ثُمَّ مَاتَ وَغَيَّبَ، فَمَكَثْتُ بِعَمُّورِيَّةَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ أَمْكُثَ، ثُمَّ مَرَّ بِي نَفَرٌ مِنْ كَلْبٍ تُجَّارًا، فَقُلْتُ لَهُمْ: تَحْمِلُونِي إِلَى أَرْضِ الْعَرَبِ، وَأُعْطِيكُمْ بَقَرَاتِي هَذِهِ وَغُنَيْمَتِي هَذِهِ؟ قَالُوا: نَعَمْ فَأَعْطَيْتُهُمُوهَا وَحَمَلُونِي، حَتَّى إِذَا قَدِمُوا بِي وَادِيَ الْقُرَى ظَلَمُونِي فَبَاعُونِي مِنْ رَجُلٍ مِنْ يَهُودَ عَبْدًا، فَكُنْتُ عِنْدَهُ، وَرَأَيْتُ النَّخْلَ، وَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ الْبَلَدَ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي، وَلَمْ يَحِقْ لِي فِي نَفْسِي، فَبَيْنَمَا أَنَا عِنْدَهُ، قَدِمَ عَلَيْهِ ابْنُ عَمٍّ لَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ فَابْتَاعَنِي مِنْهُ، فَاحْتَمَلَنِي إِلَى الْمَدِينَةِ، فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُهَا فَعَرَفْتُهَا بِصِفَةِ صَاحِبِي، فَأَقَمْتُ بِهَا وَبَعَثَ اللهُ رَسُولَهُ، فَأَقَامَ بِمَكَّةَ مَا أَقَامَ لَا أَسْمَعُ لَهُ بِذِكْرٍ مَعَ مَا أَنَا فِيهِ مِنْ شُغْلِ الرِّقِّ، ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَوَاللهِ إِنِّي لَفِي رَأْسِ عَذْقٍ لِسَيِّدِي أَعْمَلُ فِيهِ بَعْضَ الْعَمَلِ، وَسَيِّدِي جَالِسٌ، إِذْ أَقْبَلَ ابْنُ عَمٍّ لَهُ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: فُلَانُ، قَاتَلَ اللهُ بَنِي قَيْلَةَ، وَاللهِ إِنَّهُمُ الْآنَ لَمُجْتَمِعُونَ بِقُبَاءَ عَلَى رَجُلٍ قَدِمَ عَلَيْهِمْ مِنْ مَكَّةَ الْيَوْمَ،

يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَبِيٌّ، قَالَ: فَلَمَّا سَمِعْتُهَا أَخَذَتْنِي الْعُرَوَاءُ، حَتَّى ظَنَنْتُ سَأَسْقُطُ عَلَى سَيِّدِي، قَالَ: وَنَزَلْتُ عَنِ النَّخْلَةِ، فَجَعَلْتُ أَقُولُ لابن عَمِّهِ ذَلِكَ: مَاذَا تَقُولُ؟ مَاذَا تَقُولُ؟ قَالَ: فَغَضِبَ سَيِّدِي فَلَكَمَنِي لَكْمَةً شَدِيدَةً، ثُمَّ قَالَ: مَا لَكَ وَلِهَذَا أَقْبِلْ عَلَى عَمَلِكَ، قَالَ: قُلْتُ: لَا شَيْءَ، إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَسْتَثْبِتَهُ عَمَّا قَالَ: وَقَدْ كَانَ عِنْدِي شَيْءٌ قَدْ جَمَعْتُهُ، فَلَمَّا أَمْسَيْتُ أَخَذْتُهُ ثُمَّ ذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ بِقُبَاءَ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ رَجُلٌ صَالِحٌ، وَمَعَكَ أَصْحَابٌ لَكَ غُرَبَاءُ ذَوُو حَاجَةٍ، وَهَذَا شَيْءٌ كَانَ عِنْدِي لِلصَّدَقَةِ، فَرَأَيْتُكُمْ أَحَقَّ بِهِ مِنْ غَيْرِكُمْ قَالَ: فَقَرَّبْتُهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: "كُلُوا" وَأَمْسَكَ يَدَهُ فَلَمْ يَأْكُلْ، قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هَذِهِ وَاحِدَةٌ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ عَنْهُ فَجَمَعْتُ شَيْئًا، وَتَحَوَّلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، ثُمَّ جِئْتُهُ بِهِ، فَقُلْتُ: إِنِّي رَأَيْتُكَ لَا تَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، وَهَذِهِ هَدِيَّةٌ أَكْرَمْتُكَ بِهَا، قَالَ: فَأَكَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْهَا وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ فَأَكَلُوا مَعَهُ، قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هَاتَانِ اثْنَتَانِ، قَالَ: ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ بِبَقِيعِ الْغَرْقَدِ، قَالَ: وَقَدْ تَبِعَ جَنَازَةً مِنْ أَصْحَابِهِ، عَلَيْهِ شَمْلَتَانِ لَهُ، وَهُوَ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَدَرْتُ أَنْظُرُ إِلَى ظَهْرِهِ، هَلْ أَرَى الْخَاتَمَ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي؟ فَلَمَّا رَآنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ اسْتَدَبَرْتُهُ، عَرَفَ أَنِّي أَسْتَثْبِتُ فِي شَيْءٍ وُصِفَ لِي، قَالَ: فَأَلْقَى رِدَاءَهُ عَنْ ظَهْرِهِ، فَنَظَرْتُ إِلَى الْخَاتَمِ فَعَرَفْتُهُ، فَانْكَبَبْتُ عَلَيْهِ أُقَبِّلُهُ وَأَبْكِي، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: "تَحَوَّلْ" فَتَحَوَّلْتُ، فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ حَدِيثِي كَمَا حَدَّثْتُكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، قَالَ: فَأَعْجَبَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يَسْمَعَ ذَلِكَ أَصْحَابُهُ[٩٤].

ولا شك أن سلمان قد عاش في مرحلته الثانية نصرانياً وأخذ الخبر اليقين بنبوة محمد ﷺ، وتحمل العبودية والأسفار الطويلة حتى طبق ما سمعه من الرهبان على شخص النبي الخاتم وبهذا يكون هو من الفئة المؤمنة التي افترقت عن النصارى، وبقيت رحلته في البحث عن الحق أنموذجا فذا في أهل السابقة الذين استنارت بصيرتهن بالحق والإيمان الصادق.

وأخيراً، نعرض للصحابي الجليل ملك طي عدي بن حاتم ﷺ، فقد فر إلى بلاد الشام وأخذت أخته بالسبي وأطلق سراحها رسول وأمرها باللحاق بعدي ليعود إليه، فلما رآه النبي ﷺ حصل بينهما هذا الحوار: "عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ. فَقَالَ: «يَا عَدِيُّ اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الوَثَنَ»، وَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءَةٌ: **﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾**[التوبة: ٣١]، قَالَ: "أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ"[٩٥].

وقد روى عن رسول ﷺ أحاديث كثيرة ومنها ما رواه البخاري "عن محل بن خليفة الطائي، قال: سمعت عدي بن حاتم ﷺ، يقول: كنت عند رسول الله ﷺ، فجاءه رجلان أحدهما يشكو العيلة، والآخر يشكو قطع السبيل، فقال رسول الله ﷺ: "أما قطع السبيل: فإنه لا يأتي عليك إلا قليل، حتى تخرج العير إلى مكة بغير خفير، وأما العيلة: فإن الساعة لا تقوم، حتى يطوف أحدكم بصدقته، لا يجد من يقبلها منه، ثم ليقفن أحدكم بين يدي الله ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له، ثم ليقولن له: ألم أوتك مالاً؟ فليقولن: بلى، ثم ليقولن ألم أرسل إليك رسولاً؟ فليقولن: بلى، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار، ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلا النار، فليتقين أحدكم النار ولو بشق تمرة، فإن لم يجد فبكلمة طيبة"[٩٦].

هذه نماذج أهل الحق من النصارى الذين افترقوا عن دينهم ونالوا شرف الصحبة للنبي ﷺ، وهم أهل السابقة لمن أسلم بعدهم من ملتهم إلى يومنا الحالي وإلى قيام الساعة.

القسم الثاني: من سأل وحاور النبي ﷺ وعرف الحق وبقي على دينه وكفره.

وفي حوار مباشرة بين النبي ﷺ وبين النصارى وهو حوار وفد نجران الذين قدموا على النبي ﷺ فجادلوه في عيسى ﵇، روى ابن أبي شيبة: إِنَّهُ قَدِمَ وَفْدُ نَجْرَانَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيهِمُ السَّيِّدُ وَالْعَاقِبُ، فَخَاصَمُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خُصُومَةً لَمْ

يُخَاصَمْ مِثْلَهَا قَطُّ، فَانْصَرَفَ أَحَدُهُمَا وَبَقِيَ الْآخَرُ، فَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمُلَاعَنَةِ، فَأَجَابَهُ إِلَيْهَا، فَلَمَّا وَلَّى قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَئِنْ لَاعَنُونِي لَا يَحُولُ حَوْلٌ وَبِنَجْرَانَ عَيْنٌ تَطْرِفُ" قَالَ: فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَغَدَا حَسَنٌ وَحُسَيْنٌ وَفَاطِمَةُ وَنَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَغَدَوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: مَا لِلْمُلَاعَنَةِ جِئْنَاكَ، وَلَكِنْ جِئْنَاكَ لِتَفْرِضَ عَلَيْنَا شَيْئًا نُؤَدِّيَهُ إِلَيْكَ، وَتَبْعَثَ مَعَنَا مَنْ يَهْدِينَا الطَّرِيقَ. ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَاعَنْتُمُونِي مَا حَالَ الْحَوْلُ وَبِنَجْرَانَ عَيْنٌ تَطْرِفُ" قَالَ: فَفَرَضَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْمَلَاحِفَ النَّجْرَانِيَّةَ ثُمَّ قَالَ: "أَنَا بَاعِثٌ مَعَكُمْ أَمِينَ هَذِهِ الْأُمَّةِ"، فَتَشَوَّفَ لَهَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا– وَغَيْرُهُمَا فَقَالَ: "قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ"(٩٧).

وقد ذكر الحافظ ابن الحجر أنهما أسلما فيما بعد، "قال الحافظ في "الفتح" أما السيد، فكان اسمه الأيهم، ويقال: شرحبيل، وكان صاحبَ رحالهم ومجتمع هم ورئيس هم في ذلك، وأما العاقب، فاسمه عبد المسيح، وكان صاحبَ مشورتهم، قال ابن سعد: دعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام، وتلا عليهم القرآن، فامتنعوا، فقال: إن أنكرتم ماْ أقول فهلم أبَاهِلْكم، فانصرفوا على ذلك، وأراد أن يلاعننا: هذه الملاعنة: هي المباهلة المذكورة في قوله تعالى: **﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ﴾**[آل عمران: ٦١]، قال الحافظ في "الفتح وذكر ابن سعد أن السيد والعاقب رجعا بعد ذلك فأسلما"(٩٨).

أما المحاورة الأخيرة بعيداً عن النبي ﷺ فهي محاورة هرقل ملك الروم، أسوقها لما فيها من دلالة على علم عميق متوارث في عقل الحاكم الذي تلقاه من رهبان وعلماء كانوا متيقنين من قدومه كما سنرى في هذا الحوار، فسرده كما هو يغني عن تدخلي به، "روى البخاري عن عبد الله بن عباس أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش، وكانوا تجارا بالشأم في المدة التي كان رسول الله ﷺ ماد فيها أبا سفيان وكفار قريش، فأتوه وهم بإيلياء، فدعاهم في مجلسه، وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا بترجمانه، فقال: أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: فقلت أنا أقربهم نسباً، فقال: أدنوه مني، وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لهم إني سائل هذا عن هذا الرجل، فإن كذبني فكذبوه. فوالله لولا الحياء من أن يأثروا علي كذبا لكذبت عنه. ثم كان أول ما سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب، قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا. قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت: لا قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقلت بل ضعفاؤهم. قال: أيزيدون أم ينقصون؟ [ص: ٩] قلت: بل يزيدون. قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا. قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا. قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها، قال: ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة، قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم. قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال، ينال منا وننال منه. قال: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والزكاة والصدق والعفاف والصلة. فقال للترجمان: قل له: سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها. وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول؟ فذكرت أن لا، فقلت: لو كان أحد قال هذا القول قبله، لقلت رجل يأتسي بقول قيل قبله. وسألتك هل كان من آبائه من ملك؟ فذكرت أن لا، قلت فلو كان من آبائه من ملك، قلت رجل يطلب ملك أبيه، وسألتك، هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله. وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل. وسألتك أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم. وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته

القلوب. وسألتك هل يغدر؟ فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر. وسألتك بما يأمركم؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، لم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه. ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى، فدفعه إلى هرقل، فقرأه فإذا فيه " بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم: سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين و﴿**يأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾[آل عمران: ٦٤] قال أبو سفيان [ص: ١٠]: فلما قال ما قال، وفرغ من قراءة الكتاب، كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات وأخرجنا، فقلت لأصحابي حين أخرجنا: لقد أمر ابن أبي كبشة، إنه يخافه ملك بني الأصفر. فما زلت موقنا أنه سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام. وكان ابن الناظور، صاحب إيلياء وهرقل، سقفا على نصارى الشأم يحدث أن هرقل حين قدم إيلياء، أصبح يوما خبيث النفس، فقال بعض بطارقته: قد استنكرنا هيئتك، قال ابن الناظور: وكان هرقل حزاء ينظر في النجوم، فقال لهم حين سألوه: إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر، فمن يختتن من هذه الأمة؟ قالوا: ليس يختتن إلا اليهود، فلا يهمنك شأنهم، واكتب إلى مداين ملكك، فيقتلوا من فيهم من اليهود. فبينما هم على أمرهم، أتي هرقل برجل أرسل به ملك غسان يخبر عن خبر رسول الله ﷺ، فلما استخبره هرقل قال: اذهبوا فانظروا أمختتن هو أم لا، فنظروا إليه، فحدثوه أنه مختتن، وسأله عن العرب، فقال: هم يختتنون، فقال هرقل: هذا ملك هذه الأمة قد ظهر. ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية، وكان نظيره في العلم، وسار هرقل إلى حمص، فلم يرم حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأي هرقل على خروج النبي ﷺ، وأنه نبي، فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغلقت، ثم اطلع فقال: يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد، وأن يثبت ملككم، فتبايعوا هذا النبي؟ فحاصوا حيصة حُمُر الوحش إلى الأبواب، فوجدوها قد غلقت، فلما رأى هرقل نفرتهم، وأيس من الإيمان، قال: ردوهم علي، وقال: إني قلت مقالتي آنفا أختبر بها شدتكم على دينكم، فقد رأيت، فسجدوا له ورضوا عنه، فكان ذلك آخر شأن هرقل"(٩٩).

وبهذا، تبدو لنا صورة ذلك الحراك ونتائجه كما عبرت عنه سورة البينة بين مؤمن اختار نبي الإسلام ودين الله الخاتم، ومن رضي بدينه تعصباً أو خوفاً على دنيا يفقدها، وتبقى حقائق القرآن ومضامين سورة البينة خالدة تنطبق آياتها على القسمين اللذين طوفنا معهما في هذا البحث، الذي أرجو من الله أني وفقت لبيان خفاياه ومقاصده النبيلة.

المطلب الخامس: الآيات الدالة على هذه الفئة.

وفي الختام، هذه جملة من الآيات أسوقها، للدلالة على عظيم مكانة هؤلاء الذين افترقوا عن دينهم إلى الدين الحق، وهي صورة عميقة تعبر أيضاً عن مدى أهمية الرسالة الخاتمة بالنسبة لأهل الكتاب، خاصة وأنها الفرصة الأخيرة التي تنقذهم من الضلال في الدنيا ونار جهنم في الآخرة، آيات صريحة الدلالة فيها زيادة بيان لمقاصد سورة البينة وقواعدها، وما تلك الشواهد الحية بالأشخاص وأخبارهم إلا صورة معبرة عن دلالة هذه الآيات، فقد امتدحهم الله هنا بالتمسك بالكتاب، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ**﴾[الأعراف: ١٧٠] قيل: هذا في أمة محمد، وقيل هو فيمن أسلم من أهل الكتاب"(١٠٠).

وذكر هنا فرحهم بما يأتيهم من خبر السماء للدلالة على امتلاء قلوبهم بالنور والإيمان، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ﴾ [الرعد: ٣٦] قال الزمخشري: "يريد من أسلم من اليهود كعبد الله بن سلام وكعب وأصحابهما ومن أسلم من النصارى"(١٠١).

وقال تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾[يونس: ٩٤]، قال القرطبي: قال ثعلب والمبرد: "فإن كنت شك "أي قل يا محمد للكافر فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فأسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك، أي يا عابد الوثن إن كنت في شك من القرآن فأسأل من أسلم من اليهود، يعني عبد الله بن سلام وأمثاله إلا من عبدة الأوثان كانوا يقرون لليهود أنهم أعلم منهم"(١٠٢).

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾[الرعد: ٤٣]، قال ابن جزي المراد عبد الله بن سلام ومن أسلم من اليهود والنصارى الذين يعلمون صفته ﷺ في التوراة والإنجيل"(١٠٣).

وهنا آيات عجيبة يجب التوقف عندها، وهي تعبر عن إسلامهم القديم وكأنهم عندما جاء النبي بالإسلام سعدوا بذلك بسلامة معتقدهم واستقامتهم وانشراح صدورهم سريعا للإيمان بالنبي والإسلام وما جاء من تفصيلاته وحقائقه الكاملة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ * أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾[القصص: ٥٢-٥٦]. قال ابن جزي: "والضمير في قبله للقرآن وقولهم: إنه الحق تعليل لإيمانهم، وقولهم: إنا كنا من قبله مسلمين بيان بأن الإسلام قديم؛ لأنهم وجدوا ذكر سيدنا محمد ﷺ في كتبهم قبل أن يبعث"(١٠٤).

وقد بشرهم رسول الله ﷺ وجعل لهم أجرين روى البخاري في صحيحه عن رسول الله ﷺ قال: ثلاثة لهم أجران: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ﷺ ..."(١٠٥).

ومنها قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ١٤٦]، ومنها قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ *يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[آل عمران: ١١٣، ١١٤] قال ابن عباس ﷺ: لما أسلم عبد الله بن سلام، وثعلبة بن سعية، وأسيد بن سعية، وأسد ابن عتبة، ومن أسلم من اليهود معهم قال الكفار من أحبار اليهود ما آمن بمحمد إلا شرارنا ولو كانوا خياراً، ما تركوا دين آبائهم، فأنزل الله الآية"(١٠٦) ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُم أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[آل عمران: ١٩٩] قيل: إنها نزلت في من أسلم من اليهود والنصارى عند بعثة النبي ﷺ"(١٠٧).

الخاتمة وأبرز النتائج.

كنوز القرآن وعمق دلالاته لا تنقضي أبد الدهر ومجاراته لواقع البشرية حاضر وماثل للعيان، وما هذه الأحداث التي نراها اليوم إلا ثمرة من ثمار دعوة القرآن ونوره الذي يمتد في مشارق الأرض ومغاربها في هذا الدخول الواسع في الإسلام بالرغم من ضعف المسلمين وهوانهم، وهذه أبرز النتائج التي خلص إليها هذا البحث:

١- عظمة آي القرآن في الحوار الذي يحويه بين جنباته، وأهميته في الدعوة إلى الله ودخول غير المسلمين بالإسلام.
٢- أهمية سورة البينة في وصف الأديان والعقائد وحكمها عليها.
٣- دلالة السورة على حدوث الافتراق الخطير في أهل الكتاب بين مؤمن موحد ناج، ومعاند متعصب هالك.
٤- بيان الحقيقة السابقة بأشخاص بأعيانهم حل بهم الأمرين من الهداية أو الضلال.
٥- أهمية السورة في الدعوة للحوار بين أهل الأديان المختلفة.
٦- تبرز دراسة هذه السورة على هذا النمط ضرورة إحياء فاعلية تفسير القرآن في عالمنا المعاصر الذي نعيشه ونحياه.
٧- أبرزت دراسة السورة الفرق بين اليهود والنصارى كما نص على ذلك القرآن الكريم والواقع والتاريخ.

الهوامش.

(١) المناوي، زين الدين محمد المناوئ (ت ١٠٣١هـ)، **التوقيف على مهمات التعاريف**، (ط١)، ١٩٩٩م، عالم الكتب، القاهرة، ج١، ص٨٨.

(٢) **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، القاهرة، ج٢، ص٧٧٥.

(٣) **تاج العروس**، ج٢٩، ص٤٥٤. وينظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ) **العين**، تحقيق: مهدي المخزومي، دار الهلال، القاهرة، ج٢، ص٣٨.

(٤) الجوهري إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ)، **الصحاح في اللغة**، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨٧م، ج٤، ص١٥٩٣.

(٥) يقول الكفوي: والشرك أنواع شرك الاستقلال، وهو إثبات إلهين مستقلين كشرك المجوس، وشرك التبعيض وهو تركيب الإله من آلهة كشرك النصارى، وشرك التقريب وهو عبادة غير الله ليقرب إلى الله زلفى كشرك متقدمي الجاهلية، وشرك التقليد وهو عبادة غير الله تبعا للغير كشرك متأخري الجاهلية، وشرك الأسباب وهو إسناد التأثير للأسباب العادية كشرك الفلاسفة والطبائعيين ومن تبعهم على ذلك، وشرك الأغراض وهو العمل لغير الله فحكم الأربعة الأولى الكفر بإجماع، وحكم السادس المعصية من غير كفر بإجماع، وحكم الخامس التفصيل، فمن قال في الأسباب العادية إنها تؤثر بطبعها فقد حكي الإجماع على كفره ... ينظر: الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسين، **الكليات**، تحقيق: عدنان درويش – ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ص٨٤٢.

(٦) وهو قول القرطبي، وابن كثير، والبغوي، وابن عاشور. يقول ابن عاشور: " وأخرج ابن كثير عن أحمد بن حنبل بسنده إلى أبي حبة البدري قال: لما نزلت {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكتاب:} إلى آخرها قال جبريل: يا رسول الله إن الله يأمرك أن تقرأها أبيا" الحديث، أي وأبي من أهل المدينة. وجزم البغوي وابن كثير بأنها مدنية، وهو الأظهر؛ لكثرة ما فيها من تخطئة أهل الكتاب: ولحديث أبي حبة البدري، وقد عدها جابر بن زيد في عداد السور المدنية". ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣٠، ص٤١٢.

وقد ورد حديث أبيّ الذي ذكره ابن عاشور في **صحيح البخاري**، كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب أبي بن كعب ﷺ، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، (ط٣)، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م، ج٣، ص١٣٨٥.

(٧) **المرجع السابق**، نفس الجزء والصفحة.

(٨) البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر (٨٨٥هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، ج٨، ص٤٩٥.

(٩) أبى بن كعب بن قيس من بنى جديلة وجديلة أم معاوية بن عمرو بن مالك كنيته أبو المنذر، وكان له ابن يقال له: الطفيل؛

فكان عمر بن الخطاب يكنيه بالطفيل، وكان أبي ممن جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ وأمر الله صفيه –صلوات الله عليه– أن يقرأ على أبى القرآن؛ ليكون أوكد لحفظ أبي له وأنشط له في وعيه والمحافظة عليه، وكان من فقهاء الصحابة وجلة الأنصار، مات سنة اثنتين وعشرين في خلافة عمر بن الخطاب وقد قيل: إنه بقي إلى خلافة عثمان بن عفان ﷺ والأول أصح، ينظر: أبو حاتم البستي، محمد بن حبان (ت ٣٥٤هـ) مشاهير علماء الأمصار، ندار الوفاء، المنصورة، (ط١)، ١٩٩٩م، ص٣١.

(١٠) البخاري، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٩هـ)، كتاب: المناقب– باب: مناقب أبي بن كعب ﷺ، ترقيم: محمد عبد الباقي، دار طوق النجاة، دمشق، رقم الحديث ٣٨٩، (ط١)، ١٤٢٥هـ. ومسلم، مسلم بن حجاج (ت ٢٦١هـ) كتاب: الفضائل، باب: من فضائل أبي بن كعب ﷺ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، رقم الحديث ٧٩٩.

(١١) ابن حجر، أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ)، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، دار المعرفة، بيروت، (ط١)، ١٣٧٩هـ، ج٧، ص١٢٧.

(١٢) البخاري، كتاب: البيوع، باب: كراهية السخب في الاسواق، رقم ٢١٢٥.

(١٣) مسلم، **الصحيح**، كتاب: صفة الجنة ونعيمها، باب، الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، رقم ٢٨٦٥.

(١٤) الواحدي، علي بن أحمد (ت ٤٦٨هـ)، **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط١)، ١٩٩٤م، ج٤، ص٥٣٩.

(١٥) الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي (ت ٦٠٦هـ)، **مفاتيح الغيب**، دار إحياء التراث العربي، بيروت (ط٣)، ١٤٢٠هـ، ج٢٣، ص٢٣٧.

(١٦) الأزهري، محمد بن أحمد، **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط١)، ٢٠٠١م، (٣٣٨/٩).

(١٧) الأزهري، محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ)، **تهذيب اللغة**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط١)، ٢٠٠١م، (٣٣٨/٩).

(١٨) وقال الزمخشري: "كان الكفار من الفريقين أهل الكتاب: وعبدة الأصنام يقولون قبل مبعث النبي ﷺ: لا ننفك مما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب في التوراة والإنجيل، وهو محمد ﷺ، فحكى الله تعالى ما كانوا يقولونه". ينظر: الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، **الكشاف**، دار الكتاب: العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ، ج٤، ص٧٨٢.

(١٩) وقال السمعاني: "أَي: منتهين، وَمَعْنَاهُ: أَن الْكفَّار من أهل الْكتاب: وَالْمُشْرِكين مَا كَانُوا منتهين عَن كفرهم حَتَّى تأتيهم الْبَيِّنَة أَي: حَتَّى أَتَاهُم الرَّسُول، مُسْتَقْبل بِمَعْنى الْمَاضِي، وَقيل: الْبَيِّنَة هِيَ القرآن، وَهَذَا قَول مَعْرُوف مُعْتَمد". ينظر: السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار، **تفسير القرآن**، تحقيق: ياسر بن إبراهيم ورفاقه، دار الوطن، الرياض، ١٤١٨هـ–١٩٩٧م، ج٦، ص٢٦٣.

(٢٠) ينظر: السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد (ت ٣٧٣هـ)، **بحر العلوم**، تحقيق: علي محمد معوّض، ورفاقه، دار الكتب العلمية، (ط١)، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، وقال السمرقندي في بيان هذا المعنى: "مُنْفَكِّينَ يعني: غير منتهين عن كفرهم، وعن قولهم الخبيث حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ يعني: حتى أتاهم البيان، فإذا جاءهم البيان، فريق منهم انتهوا وأسلموا، وفريق ثبتوا على كفرهم ...".

(٢١) الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، **معاني القرآن**، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ورفاقه، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، د.ط، د.ت، ج٣، ص٢٨١.

(٢٢) ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن الرازي، **تفسير ابن أبى حاتم**، تحقيق: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية – صيدا، ج١٠، ص٣٤٥٤.

(٢٣) يقول الخازن: مُنْفَكِّينَ أي منتهين عن كفرهم وشركهم ... الْبَيِّنَةُ أي الحجة الواضحة يعني محمدا ﷺ أتاهم بالقرآن فبين لهم ضلالتهم، وشركهم وما كانوا عليه من الجاهلية، ودعاهم إلى الإيمان، فآمنوا فأنقذهم الله من الجهالة والضّلالة ولم يكونوا

منفصلين عن كفرهم قبل بعثه إليهم، والآية فيمن آمن من الفريقين. ينظر: الخازن.

(٢٤) السلمي، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، **تفسير العز بن عبد السلام تفسير القرآن** (اختصار النكت للماوردي)، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم، بيروت، (ط١)، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ج٣، ص١٣٥٨.

(٢٥) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، (ط٢)، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ج٤، ص٢٩٦.

(٢٦) ينظر: ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، (ط١)، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ج٣٠، ص٤١٥. حيث قال: "وَأَنَا أَقُولُ: وَجْهُ الإشكال أَنَّ تَقْدِيرَ الآية: لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ الَّتِي هِيَ الرَّسُولُ ﷺ، ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى لَمْ يَذْكُرْ أَنهم منفكون عماذا لَكِنَّهُ مَعْلُومٌ؛ إِذِ الْمُرَادُ هُوَ الْكُفْرُ وَالشِّرْكُ اللَّذَيْنِ كَانُوا عَلَيْهِمَا، فَصَارَ التَّقْدِيرُ: لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مُنْفَكِّينَ عَنْ كُفْرِهِمْ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ الَّتِي هِيَ الرَّسُولُ ﷺ، ثُمَّ إِنَّ كَلِمَةَ حَتَّى؛ لانتهاء الْغَايَةِ، فَهَذِهِ الآية تَقْتَضِي أَنَّهُمْ صَارُوا مُنْفَكِّينَ عَنْ كُفْرِهِمْ عِنْدَ إِتْيَانِ الرَّسُولِ ﷺ.

(٢٧) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، دار الفكر، بيروت، د.ت، ج٥، ص٤٧٤.

(٢٨) ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ)، **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، (ط١)، ١٤٢٢هـ، ج٤، ص٤٧٥.

(٢٩) الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، **غريب القرآن**، دار الكتب العلمية (لعلها مصورة عن الطبعة المصرية)، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، ج١، ص٥٣٥.

(٣٠) ابن جزي، محمد بن أحمد (ت ٧٤١هـ) تحقيق: عبد الله الخالدي، دار الأرقم، بيروت، (ط١)، ١٤١٦هـ، ج٢، ص٥٠١.

(٣١) الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، (ط١)، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، ج٢٤، ص٥٢٠.

(٣٢) النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي، **إعراب القرآن**، وضع حواشيه: عبد المنعم خليل، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ، ج٥، ص١٦٨.

(٣٣) ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي (ت ٥٤٦هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب: العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (ط١)، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، ج٤، ص٥٠٧.

(٣٤) الخطيب، عبد الكريم، **التفسير القرآني للقرآن**، دار الفكر العربي، القاهرة، ج١٥، ص١٦٤٠.

(٣٥) أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (٩٨٢هـ)، **إرشاد العقل السليم**، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة، لرياض، د.ط، د.ت، ج٥، ص٥٥٩.

(٣٦) الآلوسي، شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني (ت ١٢٧٠هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ، ج١٥، ص٤٢٨.

(٣٧) صلاء من الأصل صلي في معاجم اللغة كلها، وهي إما الشواء أو من الصلاة والدعاء، أما صلاء المرأة فلم أجد في المعاجم إضافة الصلاء إلى المرأة.

(٣٨) البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت ٣١٧هـ)، **معالم التنزيل**، تحقيق: محمد عبد الله النمر ورفاقه، دار طيبة للنشر والتوزيع، (ط٤)، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ج٨، ص٤٩٦.

(٣٩) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، **مجموع الفتاوى**، تحقيق: أنور الباز- عامر الجزار، دار الوفاء، (ط٣)، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، ج١٦، ص٤٩٥.

(٤٠) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج٢٣، ص٢٣٧.

(٤١) دروزة، محمد عزّة، **التفسير الحديث**، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، دار الغرب الإسلامي – دمشق، ١٣٨٣هـ، ج٨، ص٣٤٨.

(٤٢) تفسير الآلوسي، **روح المعاني**، ج١٥، ص٤٢٥.

(٤٣) الطبري، **جامع البيان**، ج٢٤، ص٥٣٩

(٤٤) **المرجع السابق**، ج٢٤، ص٥٤٠.

(٤٥) الزمخشري، **الكشاف**، ج٤، ص٧٨٢.

(٤٦) ينظر: أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، **البحر المحيط**، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ، ج١٠، ص٥١٩.

(٤٧) الزحيلي، وهبة مصطفى، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، دار الفكر المعاصر، دمشق، (ط٢)، ١٤١٨هـ، ج٢، ص٩٠.

(٤٨) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، (ط٢)، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ج٤، ص٢٩٦.

وحديث الفرقة الناجية رواه أبو داوود في **سننه**، كتاب: السنة، باب: شرح السنة، تحقيق: محمد عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، ج٤، ص٣٢٣. وابن ماجة في **سننه**، كتاب: الفتن، باب: افتراق الأمم، مكتبة أبي المعاطي، ج٥، ص١٢٨. ورواه الإمام أحمد في **مسنده**، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة، الناشر: مؤسسة قرطبة، القاهرة، ج٢، ص٣٣٢. قال الشيخ: الألباني: حسن صحيح.

(٤٩) الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد، **الملل والنحل**، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤هـ، ج١، ص٢٠٧.

(٥٠) القرطبي، **التفسير**، ج٢٠، ص١٤٣.

(٥١) علوان، نعمة الله بن محمود (ت ٩٢٠هـ)، **الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية**، دار الركابي القاهرة، (ط١)، ١٩٩٩م، ج٢، ص٥٢٣.

(٥٢) أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، ج٩، ص١٨٥.

(٥٣) أبو داود، سليمان بن الأشعث (ت ٢٧٥هـ)، كتاب: السنة، باب: شرح السنة، المكتبة العصرية، صيدا، رقم الحديث ٤٥٩٦.

ورواه الترمذي في **السنن**، كتاب: أبواب الإيمان، باب: ما جاء في افتراق هذه الأمة، رقم الحديث ٢٦٤٠، حسن صحيح.

وابن ماجه في **سننه**، كتاب: الفتن، باب: افتراق الأمم، رقم ٣٩٩٢، وابن حبان في **صحيحه**، كتاب: بدء الخلق، باب: ذكر افتراق اليهود والنصارى، رقم ٦٢٤٧ وغيرهم.

(٥٤) ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣هـ)، كتاب: الفتن، باب: افتراق الأمم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، رقم الحديث ٣٩٩١.

(٥٥) ابن الوزير، (ت ٨٤٠هـ)، **العواصم والقواصم**، لبنان، ١٩٩١م، ج٣، ص١٧٠.

(٥٦) الشوكاني، محمد بن إسماعيل (ت ١٢٥٠هـ)، **فتح القدير**، ج٢، ص٥٦.

(٥٧) ينظر: المقبلي (ت ١١٠٨هـ)، **العلم الشامخ**، دمشق، ١٩٨٠م، ص٥١٣.

(٥٨) الألباني، **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، المكتب الإسلامي، (ط٤)، ١٩٨٤م، ج١، ص٣٦١.

(٥٩) ينظر: البيهقي، **السنن الكبرى**، ج١٠، ص٣٥١.

(٦٠) الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد، **الاعتصام**، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، السعودية، (ط١)، ١٤١٢هـ-

١٩٩٢م، ص٧١٤-٧١٤.

(٦١) المسيري، عبد الوهاب، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، دار الشروق، القاهرة، (ط١)، ج١٤، ص٣٧٠.

(٦٢) البخاري، كتاب: الإكراه، باب: في بيع المكره، رقم ٦٩٤٤.

(٦٣) البخاري، **الصحيح**، كتاب: المناقب، باب: هجرة النبي ﷺ وأصحابه، رقم الحديث ٣٩١١.

(٦٤) البخاري، كتاب: المناقب، باب: مناقب عبد الله بن سلام، رقم الحديث ٣٨١٢.

(٦٥) أحمد بن حنبل، **المسند**، حديث عوف بن مالك، قال الشيخ شعيب الأرنؤوط، رقم ٢٣٩٨٤، صحيح على شرط مسلم.

(٦٦) ابن ابي شيبة، عبدالله محمد العبسي (ت ٢٣٥هـ)، **المصنف في الأحاديث والآثار**، كتاب: التاريخ، باب: في توجيه النعمان ابن مقرن، دار الرشد، الرياض، (ط١)، ١٤٠٩هـ، رقم ٣٣٧٩٢.

(٦٧) البخاري، كتاب: المغازي، باب: حديث بني النضير، رقم ٤٠٢٨.

(٦٨) البخاري، كتاب: الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، رقم الحديث ١٣٥٦.

(٦٩) البيهقي، أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ)، **السنن الكبرى**، كتاب: السير، باب: الحربي يدخل بأمان، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط٣)، رقم الحديث ١٨٢٦٣، ص٢٠٣. وينظر: ابن حجر، **الإصابة في تمييز الصحابة**، ج١، ص٢٠٦ وما بعدها.

وروى ابن شبة عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: "كَانَتْ صَدَقَاتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَمْوَالًا لِمُخَيْرِيقَ الْيَهُودِيِّ» قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ: بَلَغَنِي أَنَّهُ كَانَ مِنْ بَقَايَا بَنِي قَيْنُقَاعَ – ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: وَأَوْصَى مُخَيْرِيقُ بِأَمْوَالِهِ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَشَهِدَ أُحُدًا فَقُتِلَ بِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مُخَيْرِيقُ سَابِقُ يَهُودَ، وَسَلْمَانُ سَابِقُ فَارِسَ، وَبِلَالٌ سَابِقُ الْحَبَشَةِ"، ٦٩.

وعرف به ابن حجر فقال: مخيريق النّضريّ الإسرائيليّ، من بني النضير، ذكر الواقديّ أنه أسلّم، واستشهد بأحد، وقال الواقدي والبلاذريّ: ويقال: إنه من بني قينقاع. ويقال من بني القطيون، كان عالما، وكان أوصى بأمواله للنبيّ ﷺ، وهي سبع حوائط: الميثب، والصائفة، والدّلال، وحسنى، وبرقة، والأعواف، ومشربة أم إبراهيم، فجعلها النبيّ ﷺ صدقة. ينظر: الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبدالله (ت ٤٣٠هـ)، **دلائل النبوة**، (ط٢)، ١٩٨٦م، ج١، ص٧٨.

(٧٠) ابن حجر، **الإصابة في تمييز الصحابة**، ج٦، ص٤٦.

(٧١) البخاري، كتاب: الصلاة، باب: ما يذكر في الفخذ، رقم٣٧١.

(٧٢) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠هـ)، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط١)، ١٩٩٤، ج٧، ص١٢١.

(٧٣) البخاري، كتاب: المناقب، باب: إتيان اليهود، رقم ٣٩٤١.

(٧٤) ابن حجر، **فتح الباري**، ج٧، ص٢٧٥.

(٧٥) **المرجع السابق**، ج٧، ص٢٧٦.

(٧٦) الندوي، علي أبو الحسن (ت ١٤٢٠)، **السيرة النبوية**، دار ابن كثير، دمشق، (ط١٢)، ١٤٢٥هـ، ج١، ص٢٨٨.

(٧٧) مسلم، كتاب: الحيض، باب: مني الرجل والمرأة، رقم ٣١٥.

(٧٨) البخاري، كتاب: الجزية، باب: إذا غدر المشركون بالمسلمين، رقم ٣١٦٩.

(٧٩) الآجري، محمد بن الحسين (ت ٣٦٠هـ)، **الشريعة**، كتاب: الإيمان والتصديق، باب: صفة النبي ﷺ، تحقيق: عبد الله الدميجي، دار الوطن، الرياض، (ط٢)، ١٩٩٩م، ج٢، ص٥٣٢.

(٨٠) البيهقي، أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ)، **دلائل النبوة**، كتاب: جماع أبواب البعث، باب: ما جاء في دخول عبد الله بن سلام على رسول الله ﷺ، الكتب العلمية، بيروت، (ط١)، ١٩٨٨م، ج٢، ص٥٣٣.

(٨١) البيهقي، أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ)، **دلائل النبوة**، كتاب: جماع أبواب المبعث، باب: ما جاء في دخول عبدالله بن سلامة

على رسول الله ﷺ، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط١)، ١٩٨٨م.

(٨٢) البيهقي، **دلائل النبوة**، كتاب: جماع المبعث، باب: ما جاء في دخول عبد الله بن سلام...- ج٢- ص٥٣٣.

(٨٣) الطبري، **التفسير**، ج١٠، ص٤٩٩.

(٨٤) البغوي، **التفسير**، ج٥ ص٢٤٠.

(٨٥) ابن ابي شيبة، **المصنف**، كتاب: المغازي، باب: ما جاء في مبعث النبي ﷺ، رقم ٣٦٥٥٥.

(٨٦) البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: واذكر في الكتاب: موسى، رقم ٣٣٩٢.

(٨٧) البخاري، كتاب" التعبير، باب: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ، رقم ٦٩٨٢.

(٨٨) أحمد بن حنبل، **فضائل الصحابة**، باب: فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم ١٧٣٧.

(٨٩) الطيالسي، سليمان بن داوود (ت ٢٠٤هـ)، **المسند**، ما أسند عبد الله بن مسعود رقم ٣٤٢، دار هجر، مصر، (ط١)، ١٩٩٩م.

(٩٠) أحمد بن حنبل، **المسند، مسند أهل البيت -رضوان الله عليهم-**، حديث جعفر بن أبي طالب، رقم ١٧٤٠.

(٩١) البخاري، ك المناقب، باب: موت النجاشي، رقم ٣٨٧٧.

(٩٢) "والرّبانيّ: العالِي الدّرَجة فِي العِلْم. قَالَ أَبُو عُبيد: سمعتُ رجلا عَالما بالكتب يَقُول: الرّبّانيّون: العُلَماء بالحلال وَالْحرَام، والأَمر والنَّهي. قَالَ: والأَحْبارُ أهلُ المَعْرفة بأَنباء الأُمم وَبِمَا كَانَ وَيكون، هَذَا الْكَلَام أَو نَحوه. قَالَ أَبُو عُبيد: وأَحْسب الْكَلِمَة لَيست بعربيَّة إِنَّمَا هِيَ عِبْرانِيّة أَو سُريانيَّة؛ وَذَلِكَ أَن أَبَا عُبيدة زعم أنّ الْعَرَب لَا تعرف الرّبّانيّين. قَالَ أَبُو عُبيد: وَإِنَّمَا عَرفها الفُقهاء وَأهل العِلْم. وَكَذَلِكَ قَالَ شَمر.قَالَ بَعضهم: وَإِنَّمَا قيل للعُلماء ربانيون؛ لأَنهم يَرُبُّون العِلم، أَي: يَقومون بِهِ، وَمِنْه الحَدِيث: (أَلَكَ نِعْمَة تَرُبُّها؟). ينظر: الأزهري، **تهذيب اللغة**، ج١٥، ص١٣٠.

(٩٣) البخاري، كتاب: المناقب، باب: إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه، رقم ٣٩٤٦.

(٩٤) **مسند أحمد**، أحاديث رجال من أصحاب النبي ﷺ، حديث سلمان الفارسي، رقم ٢٣٧٣٧.

(٩٥) الترمذي، **السنن**، كتاب: أبواب التفسير، باب: ومن سورة التوبة، رقم ٣٠٩٥.

(٩٦) البخاري، كتاب: الزكاة، باب: الصدقة قبل الرد، ١٤١٣هـ.

(٩٧) ابن سبة، **تاريخ المدينة**، ج٢، ص٥٨٣.

(٩٨) ابن حجر، **فتح الباري**، ج٤، ص٩٤٨.

(٩٩) البخاري، كتاب: الوحي، باب: بدء الوحي، رقم ٧.

(١٠٠) السمعاني: منصور بن محمد (ت ٤٨٩هـ) **تفسير القرآن**، دار الوطن، السعودية، (ط١)، ١٩٩٧م، ج٣، ص٢٢٩.

(١٠١) الزمخشري، محمود بن عمرو (ت ٥٣٨هـ) **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، دار الكتاب: العربي، بيروت، (ط٣)، ١٩٩٧م، ص٥٣٣.

(١٠٢) القرطبي: محمد بن أحمد (ت ٦٧١هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، دار الكتب المصرية، القاهرة، (ط٢)، ١٩٦٤م، ج٨، ص٣٨٣.

(١٠٣) ابن جزي، محمد بن أحمد (ت٧٤١هـ) **التسهيل لعلوم التنزيل**، دار ابن الأرقم، بيروت، (ط١)، ١٩٩٦م، ج١، ص٤٠٧.

(١٠٤) **المرجع السابق**، ج٢، ص١١٥.

(١٠٥) البخاري، كتاب: العلم، باب: تعليم الرجل أمته وأهله، رقم ٩٧.

(١٠٦) الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٧٥هـ)، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، (ط١- ١٩)، دار إحياء التراث العربي، ج٢، ص٩٤.

(١٠٧) ابن عجيبة، أحمد بن محمد بن عجيبة، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط١)، ١٩٩٩م، ج١، ص٤٥٦.